البحث الحادى والثلاثون

الاتجـــاه القـــومي فـــي شعـــر أبي ســـرور

دراسة تحليلية فنية

إعداد

د / صلاح محمود سيد مناع

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

لجنة التحكيم

أ.د / زهران محمد جبر عضو اللجنة العلمية الدائمة

أ.د / على محمد على طلب عضو اللجنة المحكمة

لمحة من حياة

إن المدخل الصحيح لارتياد عالم أبي سرور الشعري لابد أن يبدأ من سيرة حياته لاسيما وإن استطاع أن يحمل لواء الشعر القومي ، ما عاش ، يلهب حماس الجماهير ويدفعهم إلى الثورة على الاستعمار والمستعمرين ويقرعهم بقوارض الكلم .

وهو أحد شعراء العرب في العصر الحديث ويستحق شعره الدراسة ، للكشف عن طبيعة مكانته في خريطة شعرنا الحديث ، وخاصة حين اطلعت على ديوانه أيقنت أن الشاعر ضليع فأحببت دراسة شعره .

ففي ضاحية من ضواحي مدينة " سمائل " [1] بسلطنة عمان ، ولد " أبو سرور حميد بن عبد الله بن حميد الجامعي السمؤلي " في منتصف العقد السادس من القرن الرابع عشر للهجرة وتربى في سمائل ، وكانت سمائل آنذاك زاخرة بالعلماء والأدباء ، فأخذ العلم عنهم ، وكان عصره يزخر ببعض العلماء والساسة ، الذين تركوا بصمات واضحة جلية على مختلف مناحي الحياة الثقافية من أدب وفقه ونحو وصرف ولغة وغيرها .

وتعلم أبو سرور في وطنه سمائل ، فأخذ أصول العربية ، وأصول الدين من أساتذة بلدته ، لاسيما من الشيخ العلامة " أبي عبيد السلمي " [1] فقد تفقه عليه ووهبه الله حفظاً وذكاء وفطنة ،

---

(١) سمائل : هي إحدى ولايات المنطقة الداخلية ، بسلطنة عمان ، يجاورها من الشمال ولاية " بدبد " ومن الجنوب ولاية " إزكى " ومن الغرب ولاية " نخل " ومن الشرق ولاية المضيبي ، وتحيط بالولاية من كل جانب سلسلة من الجبال الشاهقة ، ويوجد بسمائل ما يقرب من ٨٠ قرية ، ١٤ قلعه من أشهرها " الباز " و " الشهباء " و" الحباه "، ويوجد بها عدد من المساجد بها محرابان ، الأول متجه صوب الأقصى ، والثاني صوب الكعبة ، وتشتهر سمائل بعلمائها وأدبائها البارزين على الساحة الثقافية ومن أهم شعرائها ابن منتصر ، ناصر بن سالم بن عديم الرواحي ، عبد الله بن علي الخليلي " وغيرهم .
راجع " سمائل فيحاء عمان " إعداد خليفة بن محمد الحضرمي ص ١٣ وما بعدها ، ذي الحجة سنة ١٤١٩ هـ ، وكتاب البلبل الصداح والمنهل الطفاح في مختارات الأشعار الملاح لمحمد بن راشد بن عزيز الخصيبي العماني تحقيق د / علي محمد علي إسماعيل ، و د / إبراهيم صلاح الهدهد ، ط ١ ، سنة ٢٠٠٢ ، ص ٢٧٨ .

(١) هو حمد بن عبيد السلمي شيخ علامة من علماء سمائل أخذ ابن سرور عنه العلم وأصول الدين والفقه وهو

وكانت هذه المواهب سبباً في تحصيل العلم مع جدة واجتهاد ، فبدأ يقول الشعر في الرابعة عشرة من عمره ، وأخذ الأدب والشعر من الشاعر الأديب " ابن منصور " [٢] الذي تتلمذ على يديه .

هذه النشأة العلمية الأدبية التي حظى بها أبو سرور ، أتاحت له ارتقاء وظائف متعددة ، واكتساب صلات جديدة ففي عام ١٩٦٧ م عين مدرساً بولاية " المضيبي " [٣] ، وبقي فيها مدة طويلة مدرساً في الفقه والقواعد العربية والحديث ، ثم نقل إلى " سمائل " فدرس القواعد والفقه والحديث وشرحه ، وفي يناير سنة ١٩٧٣ م عين قاضياً بوزارة العدل .

فكان للاستعداد الفطري ، والمعارف التي تشربها أثر في تكوين اللبنة الأولى لديه ، للوقوف على أرضية ثقافية مكنته من الولوج في ميدان الشعر والتدوين ، فتعاطى علم الأدب ، وشغف بقراءة الأشعار حتى انتعشت أفكاره بها ، وهام في أوديتها حتى مكنته من قرضها ، فأصبح صاحب قدرة لغوية ، وأسلوب متميز ، وهذا ما أهله لكي يتألق بين أقرانه ، وعلماء عصره ، فتسلط عليه الأضواء ، كرمز من رموز الأدب والفكر ، فأبو سرور لا يجهل قدر شعره ، وإنه لبمكانة من اللسان والبيان ، وله بهجة في الجنان ، فشعره السابق يسمى باقات الأدب ، واللاحق يوسم بعنوان إلى أيكة المتلقي ، وديوان يسمى ديوان أبي سرور من أربعة مجلدات ، وله تأليف يسمى طرق السلام في أركان الإسلام ، وبغية الطلاب ، والفقه في إطار الأدب ، وإبهاج الصدور في شرح نحوية أبي سرور .

بين يدي الديوان :

نحن أمام ديوان فيه سرور وحزن ، وحنين وبكاء ، ديوان حافل بلا شك لأنه فلذة من

أحد العلماء المعضلين في علوم الدين والفقه ويقول فيه أبو سرور :

وساءلت فيها من فقيه وعالم ... كنجل عبيد كاشفاً حامل اللبس

يراجع : البلبل الصداح والمنهل الطفاح في مختارات الأشعار الملاح ص ٢٧٨ .

(٢) ابن منصور أديب وشاعر من مدينة سمائل تعلم منه أبو سرور الأدب وقرض الشعر وفيه قال أبو سرور :

وطارحت فيها من أديب مهذب ... كمثل أبن منصور على فتى شمس

ينظر : البلبل الصداح والمنهل الطفاح ص ٢٨١ .

(٣) ولاية من ولايات سلطنة عمان في المنطقة الداخلية وتقع شرق ولاية سمائل .

فؤاد صاحبه ، وقطعة من وجدان إنسان يفهم رسالة الشعر ومهمة الشاعر .

وإذا كان بعض الأطفال يولدون وفي أيديهم ملعقة من ذهب ، فإن أبا سرور وليد سمائل ولد وبين ضلوعه قلب من حرير فيه رقة وجمال ليسعد الناس بالمعاني العطرة ، لقد رأيت كيف استهل ديوانه الذي يتكون من أربعة مجلدات جمع فيه كل أغراض الشعر قديمه وحديثه ، فلا يكاد تنتهي من الغزل والمدح في صور شتى ، فإذا بك تستقبل القوميات والإخوانيات ، والحكم والأمثال ، ثم شعر المناسبات ، ثم تطوف بالطبيعة وهموم الإنسان ، كل ذلك لم تكد تنتهي منه ، فإذا بك تستقبل الشكوى والألم في صور شتى .

وكل هذه الظواهر لا تلهينا عما في الديوان من جوانب فنية ، فكان أبو سرور وصافاً مفتوناً ، وشعره نافذة إلى الحياة فضمن مرئياته وآراءه وانفعالاته بما شاهد ورأى ، وأميز وأنفس ما في الديوان عندي ، شعر القومية فيه . أسجل هذا الآن ، لا فرد للاتجاه القومي عنده ، هذا البحث ، وما حفزني ـــ في الحقيقة ـــ إلى دراسة شعر القومية عند أبي سرور ، إلا توهج القومية ، وبروزها ، فهذه ظاهرة استوقفتني ، كما أن في ديوانه لمحات تكشف عن نفسه وتؤمي إلى بيئته وبلدته حيث يقول : (١)

أمن حبة الرضوان أم حضرة القـــدس

شميم أتاحته الصبا منعش النفـــس

أمن روض أحباب تعانقه الصبـــــــا

سحيراً على شوق بكل هدى قيس ؟

أطيب رياض من سمائل عازلـــــــت

عيون الصبا في روضة النازح القدس

---

(١) البلبل الصداح والمنهل الطفاح ص ٢٧٩ ، وما بعدها .

هي الروضة الغناء عزيز نظيرهـــا

وهل لجنان الخلد شبه بلا لبـــــس

وساءلت فيها من فقيه وعالـــــم

كنجل عبيد كاشفاً حالك اللبـــــس

وطارحت فيها من أديب مهـــذب

كمثل ابن منظور على فتى شمـــس

القومية في شعر أبي سرور :

ولما كان الشاعر العربي " هو الصورة المعبرة عن وحدة العرب في ظل وطنهم الصغير فقد ظل الشعر رمزاً للتوحيد القومي منذ مرحلة مبكرة في حياة العرب ، لأن الشاعر يعبر عما يوحد مشاعر وأحاسيس العرب على اختلاف أوطانهم [1] .

لقد بدأت القصيدة القومية واضحة بدلالاتها الفكرية والسياسية فانفجرت عناصر الإبداع والعطاء الشعري الصادق لدى الشعراء ومنهم أبو سرور الذي انطلق يعبر عن القومية العربية ، وقد تبلدت سماء بلاده بغيوم الكآبة والحزن لما تمر بها من أحداث جسام ، فهذا الشاعر المبدع أبو سرور تكلم عن القومية العربية معبراً عنها ومحرضاً عليها ، وهذا شيء جميل .

أخذ أبو سرور يتعايش مع الحدث بأحاسيسه وبوجدانه ، ويعكس عليه وعيه الحضاري والقومي والاجتماعي ، وتفاعل مع الأحداث القومية في الوطن العربي ، واستطاع بمشاعر وحدوية فياضة ، متابعة للثورات في فلسطين والجزائر ، ومصر ، وسوريا ، وغيرها .

وعبر في شعره الصادق عما تعانيه الأوطان من وطأة الاحتلال ، وعبث الحكام ، وفساد

---

(١) التيار القومي في الشعر العراقي ماجد حمد السامرائي ــ دار الشعر الثقافية ط ١٩٨٣ ، ص ١٩٦ .

الرعية ، وقد فاض ديوانه بهذا الشأن . إنه شاعر وطني قومي مؤمن بحق قومه في الحياة والحرية ، فتعطش إلى رؤية البلاد العربية على قدم المساواة مع البلاد الأخرى المتحررة .

دوافع الاتجاه القومي في شعر أبي سرور

(١) الواقع العربي :

(أ) ثورة الجزائر

إن الوطن العربي لم ينشغل في جهاده الطويل بالأحداث السياسية فقط ، بل نكبه الدهر بكثير من الأحداث الاجتماعية .. وتلك عندي علة العروبة في أوطانها جميعاً ... وشاعر كأبي سرور شاعر وطني ذكي الفؤاد يشعر بأدق الاهتزازات في وطنه أياً كان مصدرها ونوعها .

لذلك تعامل أبو سرور مع ثورة الجزائر وفق منظور قومي ثوري ، حيث " بدأت ثورة الجزائر بصورة منظمة، وتطورت ، وقامت المظاهرات في المدن العربية تطالب باستقلال الجزائر ، وواضح أن الاستعمار لا يعرف غير أسلوب واحد في التسليم بحق الشعوب وهو طريق الكفاح المسلح ، وتبلورت المقاومة الشعبية الجزائرية إلى ثورة منتظمة شاملة ، حيث أعلنت جبهة المقاومة ، مقاومة الاحتلال ، وانطلقت شرارة الثورة ، وانتشرت ، وقاومت حتى استقلت الجزائر سنة ١٩٦٢ م ، والشاعر " أبو سرور وكان يجني رطباً من نخلة تسمى خصاباً من علابة سمائل فسمع من خلال المذياع استقلال الجزائر فكاد " أبو سرور " يهوى من فوق النخلة من شدة السرور ، ويقول في مقدمة القصيدة أنه كتبها على ذراعه الشمال وعلى يديه وأصابعه حيث لم توجد عنده قرطاسه في ذلك الوقت .

وفي هذه القصيدة أبرز أبو سرور الثورة الجزائرية ، ومعاني البطولة والشجاعة والتضحية ، كما كان في شعره صادقاً حين تناول الحدث القومي في الجزائر .

فقد عبر " أبو سرور " بصدق عن حالة الجزائريين وإصرارهم على النضال ، فرسم صورة أطرّها بدفق عاطفي ساخن تجسم تضحية الشباب بدمائهم الذكية ، وتسود القصيدة نبرة عالية حيث يعد الشاعر فيها استقلال الجزائر بميلون نصر فيقول تحت عنوان : " مليون النصر " [1] :

---

(١) ديوان أبي سرور ــ المجلد الثاني ط / مكتبة الفردوس ١٩٩٨ ، ص ٥ .

المجد يزهو ويزكو روضه النضـــر
حيث القنابل لا تبقي ولا تـــــذر

حيث العزائم أدهى من قنابلهـــــا
حيث الممات وحيث الورد والصـــدر

حيث السياسة شورى بين قادتهـــا
إمامهم نور ما جاءت به الســـور

لله قوم على ضرب العدا ولـــــدوا
فعانقوها لباسا وهي تستعـــــر

وأشار فيها إلى الدمار الذي خلفه الاستعمار الفرنسي تشريداً وقتلاً ، واستباحة للدماء ، وأشاد بالملايين والألوف الصامدين الذين وقفوا في وجه هذا الاستعمار ، واستشهدوا في سبيل الوطن ، وهي أبيات تنزع عن مشاعر الصدق والوفاء لشهيد الحرية والاستقلال ، فيقول [٢] :

مليون شهم من الأبطال قد قتلـــوا
في نيل حرية يا حبذا الوطـــــر

خالوا الجزائر عطشى للدما شـــرفاً
فأمطروها دماً فاخضرت الجـــزر

سقوا عدوهم من سيفهم سقـــــرا
حرباً ضروساً وما أدراك ما سقـــر

وصارعوا طائرات الخصم حاضنـــة
شر القنابل يرميهم بها البطـــــر

فعانقوها وما هانوا وما ضعفـــوا
وما استكانوا وكانوا الصبر فانتصروا

(٢) ديوان أبي سرور ــ ص ٥ ، ٦ .

ومن يمت في سبيل الله حق لـــه
بر وعز به العلياء تفتخـــــــــر

ويضمن أبو سرور قصيدته هذه أحداث الثورة الجزائرية منذ اندلاعها حتى انتصارها وطرد الفرنسيين من الأرض الجزائرية العربية وإعلان استقلالها .

مؤكداً عدالة قضية التحرير ، وذلك في مطالبته بطرد الغزاة من الأرض العربية ، ليؤكد من خلال شعره أن جميع أساليب القتل والدمار لا يمكن أن تزحزح الجزائريين عن مواقفهم النضالية في تحرير الأرض فيقول [1] :

يا غاشياً أرضنا حرباً ومغتصبـــا
ظلماً ألم تغنك الآيات والنـــــــذر

أما قرأت عن الماضي صحائفنـــا
بأنها الموت لا برد ولا خـــــــور

نحن الأُلى دوخوا الدنيا كما هويت
رماحنا لا كما شاءت لنا عصـــــر

ألذ شيء على الأحرار موقـــــم
في عزهم نطق الصاروخ لا الوتر

فيا فرنسا أجيبي مـــا أقول بـــه
وما جواب قتيل ما له أثـــــــر

لم يخلق الذل للأحرار في زمـــــن
لكن لمن ظلموا الأحرار أو بطروا

فمن يشأ فارق الدنيا بمدفعنـــــا
ومن يشأ العيش لم يطمح به البطر

---

(١) ديوان أبي سرور ص ٦ ، ٧ .

فحيي الجزائر في عز وفي شـــرف
سعيدة وعدو الله مندحـــــــــــر

يا ليتني معكم والحرب كاشـــــــرة
عن نابها ويكفي الصارم الذكـــــر

(ب) قضية فلسطين :

كما برزت قضية فلسطين في مقدمة قضايا التحرر العربي ، وكانت رمزاً للضعف والاضطهاد الذي استغلته الصهيونية . فعلى الرغم من تخلص العالم من حربيه المدمرتين فإن فلسطين مازالت تواجه الاستعمار الصهيوني .

كما برزت قضية فلسطين في قصائد الشعر العربي باعتبارها القضية الأولى التي ملأت فكر وروح الشعر العربي ، فقد شغلت شاعرنا واستأثرت بقسط وافر من اهتماماته .

لقد كانت " لحركة النهضة القومية العربية منذ أوائل القرن التاسع عشر تأثيرها الكبير على الاستعمار والحركة الصهيونية التي نمت كفكر عنصري عدواني جديد في العالم ... واتخذ رد الفعل الاستعماري الصهيوني عدة أشكال " معاهدات " ، وانتداب ، ووصاية ، واحتلال عسكري واستعماري استيطاني من أجل إيقاف المد القومي العربي الجديد " [1] .

وقد واجه الشعب الفلسطيني الوجود الصهيوني المتزايد ، بالانتفاضات والثورات والمقاومة العنيفة .

وصار صوت فلسطين في ضمير الإنسان العربي ، دعوة للكفاح ، ورفضاً للاحتلال .

والشاعر العربي " أبو سرور " أحس بالقضية الفلسطينية إحساساً عميقاً لأنها قضيته ، وقد عبر عنها أصدق تعبير كقضية قومية ، ورفع راية الكفاح المسلح بوجه العدو ، وكانت القصيدة عنده بمثابة رصاصة في وجه العدوان ، حتى تحولت قصائده إلى نشيد قومي تغلغل في وجدان كل فرد عربي ، فأصبحت القضية الفلسطينية بالنسبة لأبي سرور هي قضية تحرير واستقلال ، قضية نضال وكفاح ، قضية الحق والعدل ، ومن ثم التقت عند هذه القضية كل مشاعر الحزن

---

(١) التيار القومي في الشعر العراقي ص ٢١٩ .

والمأساة والضياع النفسي والمادي ، كما التقت عندها كل معاني الشجاعة والإصرار على المبادئ والدعوة إلى التوحيد ، ومن هنا شكلت قضية فلسطين بعداً شعورياً وعاطفياً جاداً لدى أبي سرور ، ففي قصيدته " بكاء الأقصى ... يتحدث عن معانات الشعب الفلسطيني بحزن مأساوي : [1]

يا دار دمع العين فيك صبيـــــب
وارى المناقي والدماء لهيـــــب

قد قطعت أمعاؤها وتمزقـــــت
وقسا الحبيب وأعدم المحبـــوب

وقضى عليها من يرى يقضي لها
كيف الخلاص وقد نأى المطلـوب

يا دار دار الكرب حتى ينمحـي
عنك اليهود ويرجع المســـلوب

لم تبق فيك مسرة غير الهـــوى
لولا هواك لما هواك لبيـــــب

والشاعر لا يصور المجازر الوحشية تصويراً مجرداً بعين المراقب الخارجي البعيد عن الحدث ، وإنما يتفاعل مع الحدث بعواطفه ومشاعره ، ويلتقط جزئيات الصورة ليصنع منها رؤيا ، ومناشدة بألا تظل فلسطين وحيدة في الميدان ، فيصور المجازر الوحشية التي ارتكبها الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني وأبنائه ، حيث هاجمت القوات الصهيونية ، فذبحت الأبناء ، وطردت الشيوخ واستحيوا النساء ، ومثلت بجثث القتلى تمثيلاً فظيعاً ، ونسفت البيوت على رؤوس سكانها وهذا العمل الوحشي باق إلى الآن ، يقول : [1]

إن المناسي فيك لم تبرح بنـــا
صبر جميل فالإله رقيـــــب

---

(١) ديوان ابن أبي سرور ، ص ٢٢ .

(١) ديوان أبي سرور ص ٢٣ .

قد ذبحت أبناؤها واستحيـــت
منها النساء وشرد الموهـــوب

كم مرضع يبكي أباه وأمـــه
قتلاً فيقر بطنه المجـــدوب

فتظل تأكله الكلاب على الحصى
وكأنه سخل رماه الديـــب

وفي قصيدة أخرى بعنوان الشعر بين العروبة والجهاد يفضح الشاعر مجازر الصهاينة ، موجهاً خطابه إلى الحكومات العربية طالباً منهم باسم الشعب إنهاء حالة الصمت على تلك المذابح محرضاً إياهم على الثورة ضد الأوضاع قائلاً : (٢)

تلكم فلسطين كم نادت وكم صرخت
وكم بكت ألماً واستنجدت شهبـــا

تقول لي وعلى أحضانها بقـــرت
بطن أطفالها الأيتام لا سببـــا

أيرضى الحر والإسلام يملكـــني
رجس اليهود ويوليني الأسى نصبا

إذا رفعت لجفني أشتكي ألمـــي
كواه بالنار كياً قاسياً لهبـــا

يهيل لي كل يوم من جرائمـــه
شتى المصائب يسقيني بها الكربـــا

تسقي حدائق زيتوني إذا عطشت
دم الرضيع إذا ما صـــاح وانتحبا

---

(٢) ديوان أبا سرور ص ٤٢ .

ولم أجد من مجير منه ينقذنـــــي
إلا مقالاً من الأوهام قد شجبـــــا

فأين خالدي المنصور فيلقـــــــه
ألم يلد لي إلا من حوى وكبـــــا

يا ليتني لم أكد من يعرب نسبـــــا
لو يشتري نسبي قد بعته لهبـــــا

لو كنت كالنمل والأعداء تقتـــــله
لرق لي من شقيقي قلبه وصبـــــا

كأن رقي وإذلال اليهود يـــــــدي
عيد لهم أين ألفي الدين والنســـــبا

ومن القيم النضالية التي برزت في شعر أبي سرور ، الدعوة الصريحة إلى عدم التخاذل أمام أسواط الجلادين ، ولابد من حمل السلاح ومواجهة العدو الصهيوني ، وأن المستقيل لا يجيء إلا تحت ظلال السيوف ، وأن الشمس لا تشرق إلا بعد أن تخضب أفقها بدماء المناضلين ، وقد أشعل الظلم الذي تعرض له الشعب الفلسطيني جمرة الغضب في نفس الشاعر فحرض على استنهاض الهمم وفك أسر المسجد الأقصى الذي ينادي ويصرخ وينن فلا مجيب ، يقول [1] :

والمسجد الأقصى ينادي أهـــــــله
يا مسلمون أيترك المغصـــــوب

قد داس محرابي وداس منصتـــــي
بعد الخليل المشرك المغضـــــوب

صعد الرسول إلى السما من صخرتي
أيهود تخلفه هنا وتنـــــــــوب

(١) ديوان أبي سرور ص ٢٣ .

فمتى أرى أيدي الكماة تقاسمت
أمعاءه لا سالمته خطوب

أسفي إلام المسلمون وعربهم
ناموا وعزى للعدا موهوب

تركوا اليهود واشعلوا ما بينهم
حرباً تمزق شملهم وتذيب

قد بات شعب المسلمين مفرقا
كل بسيف شقيقه مضروب

ضلت بصائرهم وضل سبيلهم
فقد السبيل مصائب وكروب

لم نبق للإسلام إلا قولنا
والفعل في عصياننا منصوب

والله تلك رذائل وفضائح
يأبى وباها جاهل ولبيب

يا أمة الإسلام طال خلافكم
عودوا إلى الدين الحنيف تصيبوا

لبوا نداء المسجد الأقصى انهضوا
عار إذا لم تنهضوا وتجيبوا

لبوا النداء وأعلنوا تكبيركم
الله أكبر غالب ومجيب

وفي قصيدة أخرى تحت عنوان " الفدائي " دعا الشاعر أبناء عرب فلسطين لمواجهة هذا الواقع المأساوي برُوح التحدي والاستبسال ، وخوض طريق الكفاح المسلح ، راوياً السجل

النضالي للفدائي الفلسطيني حافزاً إياه على الثورة بوجه الطغاة ، قائلاً : [1]

لقن الحرب للعدو اللـــــــــدود
يا فدائي وانسفن باليهـــــــــود

يا فدائي هل وهي منك زنـــــد
لا وربي فأنت زند الوجـــــــود

كيف يهنا على فلسطين عيـــش
ليهود وأنت شهم الجنـــــــود

لقن الخصم كل درس مميـــــت
أنتم الدهر في دروس الكنـــــود

غله ظن خالداً قد تـــــــوارى
أنت بالفعل خالد بن الوليـــــد

إنما الابن قطعة من أبيـــــــه
ألهب الحرب هاتفاً بالمزيـــــد

إنما الدهر للكرام ابتـــــــلاء
كم نحوس قد انجلت عن سعـــود

كل من لم يفده درس ونصـــح
قد أفادته صفعة من أســـــنود

والشاعر يصف الفدائي محفزاً إياه بأن يترك عشه الدافئ تلبية للوطن وتبدو رُوح النضال مشتعلة في القصيدة ، حيث طلب من الفدائي الأخذ بالثأر من العدو الغاشم ، داعياً إياه بمواصلة الكفاح لتحرير فلسطين وذلك في صدق وحرارة وثورة ، مواكباً لحظات المعارك ، رافعاً راية العروبة والتضحية ، مؤمناً بعدالة القضية الفلسطينية وأصالتها ، واصفاً البطولة العربية والاستشهاد

(١) ديوان أبي سرور ص : ٢٥ .

من أجل القضية وصفاً دقيقاً باعتبارها قضية مقدسة في ضمير الإنسان والفدائي الفلسطيني ، مبيناً أن الشهادة عنوان النضال عبر التاريخ ، وأن دم الفدائي لم يذهب سدى ، لأنه الماء الذي يروي حياة فلسطين ، فيقول [1] :

واصل الحرب يا فدائي واصمـــد
إنما النصر في صمود الجنـــود

إن نسفا على فلسطين منـــكم
لهو نصر على العدو اللـــدود

هكذا هـكذا الفدائي حقـــاً
لا يبالي بالموت يـــوم الورود

صارع الخصم بالجهاد قتـــالاً
واسقني من دم اليهود الزهـــيد

إن نفسي لشرب دم الأعـــادي
كاد أهنأ من شرب ماء الخـــلود

ذاك حقي وسوف آخذ حقـــي
بحسابي من العدو العنـــيد

ليس عيني تنام دون حقوقـــي
دون أرضي بدون قطع وريـــدي

إن أرض النضال أرض المعـالي
أرض آبائنا وأرض الجـــدود

إن أرضي لقطعة من حيـــاتي
من عظامي ومن دمي وكبـــودي

(١) ديوان أبي سرور ص : ٢٦ .

إن أنلها أعش عليها سعيداً
أو أمت دونها فخير شهيد

ليس للحرب عندنا قط أقصى
او نرد الأقصى بعون المجيد

ليس إن مت مات حقي وسيفي
إن ابني وابن ابني جنودي

ليس شيء أعز عندي وأحلى
من قيامي بمدفعي في الجنود

لا أبالي بما تعد الليالي
فرصاصي دواء داء الكنود

ولا يتوقف أبو سرور على الرغم من مقامه في عمان بسمائل ، من مواصلة إرسال زفراته وصرخاته بين الحين والحين ، مصوراً آلامه لما أصاب أهله وإخوانه بفلسطين ، وما تزل بهم على أيدي هؤلاء الطغاة القساة الذين لا تعرف الرحمة إليهم طريقاً إنما يعرفون الأحقاد والثأر والمطامع .

فيرسل كلماته التي تجسد مشاعر الملايين على امتداد البلاد العربية والإسلامية ، التي تابعت وتتابع عدوان القوات الإسرائيلية على المسجد الأقصى ، ومدى القسوة التي تعاملوا بها مع المصلين العزل . مشيراً إلى أن الشعوب الإسلامية والعربية لا تملك سوى مشاعر الذل والهوان ، ولقد أصابهم فيروس الصمت . فأراد الشاعر أن يحرك في عروقهم دماء النخوة ويحضهم لنجده فلسطين والأقصى، فيواصل صيحاته التي تقرع آذان المسلمين الصامتين هنا وهناك يحثهم على التحرك لتلبية نداء الأقصى ، مذكراً إياهم بصنائع الآباء والأجداد ، منددا بانخداع العرب في دعوة إسرائيل بالسلام ، فيقول [1] :

(١) ديوان أبي سرور ص ٤٣ .

إلى متى القدس والإسلام منتحب
يمسي ويصبح مقتولاً ومغتصبا

نادى الإشقا أغيثوني قسا ألمي
إذا أشقاؤه موتى بهم نكبا

إلى متى ما متى يصلي الحنيف لظى
والأسر والقتل والإذلال والتعبا

إن الصقيل الذي يحمي الحنيف به
وللمجد والعز بالعصيان قد نكبا

لكل يوم بسوق الفسق مزدحم
تباع فيه المعالي والإبا نصبا

قد استرق الفساد الناس وامتلكوا
من العدا ما جنوا إلا الوبا لهبا

فأين خالد نادوه لينقذنا
يا ابن الوليد غدونا أمة شعبا

فأين سيفك يمحو العار من دمنا
لا عار أنكا من هون بنا ركبا

يا طارق ابن زياد كيف تتركنا
أسرى لأسراك بالأمس الذي ذهبا

لو كنت فينا لما كان الهوان بنا
لكنّ لو عُرفت لم تبعث الأربا

يا شهم أنت صلاح الدين هب تجد

تلك الفتوحات تبغي منك حد شبـــا

تمزقت بين ذي شرك وذي وثـــن
بكاؤها يا صلاح الدين هب إبـــا

فلم تجد غير نمل الأرض من خلـف
ما يفعل النمل إن بالنعل قد سحبـا

والشاعر نفسه يرى الشرق على اضطرابه ، ويرى ما يدبر في الخفاء من مكائد للمسلمين ، فلا يملك إلا التساؤلات المثيرة للكوامن ، ولا يستطيع إلا أن يصرخ بلهفة على ما حاق بالشرق ، وما يرجوه من أبنائه ، أن يعيدوا له مكانته وعزته التي ورثناها عن آبائنا ، ساخراً من المسلمين في رضاهم بالذل ، متأسفاً على استباحة الحمى الإسلامي العزيز ، حاضاً الشباب على أن يقوم ويجاهد فمنهم من يقوم بدور خالد بن الوليد في حماية البلاد ، وينقذ فلسطين التي باعها هؤلاء للصهاينة تحت ستار الحماية ، قائلاً : (١)

حيه ما جدا وشهماً همامـــا
ليس يرضى أن يعبد الأصنـــاما

حيه في قنابل الموت تـــردى
غاصباً أرضه محلاً حـــراما

" يوسف العظمة " (٢) هزني منك صوت
قد تعالى على السما وتســـامى

هز مني حرية تتلظـــى
تحرق الدهر إن طغى أو تعـــامى

هز مني بركان وجد شـــديد

---

(١) ديوان أبي سرور ص ١٤ .

(٢) هو شاعر عماني ولد في مدينة سمائل ، يغلب على شعره الاتجاه الوطني والقومي ، وكان مقاتلاً في الجيش السوري ، ومات شهيداً في معركة " ميسلون " عام ١٩٢٠ كتاب العرب الحديث والمعاصر د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرين ط/ مخيمر بالقاهرة ص ٢١٨ .

دائب الانفجار مما تـــــــرامى

يا فلسطين خالد قد تقضـــــــي
لم يخلف والله إلا حطـــــــاما

أين عنا صديقنا ومضـــــــاة
لم يقلد أخا اليهود وســـــاما

أين فارقونا مجـلى الرزايـــــا
أين عنا جراحنا أين عامـــــا

ويردد الشاعر صيحة الإيقاظ تحت عنوان ، " فلسطين يا بقايا "، فبعد أن استعرض الشاعر ما وصل إليه آباؤنا وحققوه من مجد ، وما وصل إليه حالنا اليوم ، ويتساءل باحثاً عن شباب يحمل المسئولية وينهض بالبلاد ، مشيراً إلى استنجاد فلسطين بأبناء الأمة لينقذوها من ظلم الطغاة ، مؤكداً أن السبيل الوحيد لإنقاذ فلسطين هو الجهاد ، يقول (١) :

يا بقايا إن كان فيكم بقـــــايا
من ضرام فأججوها ضـــــراما

طهروا القدس من عدو لئـــيم
غصب الأرض واستحل الحـــراما

إنما المجد بالدما نشتريـــــــه
لم نقدم لنيله الأوهـــــــاما

نحن أبطال عزة وإبـــــــاء
كيف نرضى أن لا نعيش كـــراما

نحن من دوخوا الزمان قديمـــاً
سائل الدهر نحن سدنا الأنـــاما

---

(١) ديوان أبي سرور ص ٦ .

نحن أبناء ســـــادة وأســـــود
أترى الأسد أنجبتنا يمـــــــــاما

فعلى المدفع المزلزل رعـــــداً
مت شهيداً تعش سعيدا إمـــــــاما

وهكذا تواصلت صيحات أبي سرور ، وتتابعت صرخاته ، فنراه يستنهض الأمة ، تارة باسم الشرق ، وأخرى باسم العرب ، وكلها تدور في محور واحد هو الإسلام ، مبيناً أن الشعر لا يملك مفاتيح تغيير القرارات السياسية للحكومات والأنظمة ، فنراه يندد بالحكام ويكذبهم ويطرح قضية فلسطين كدليل قوي على خيانة هؤلاء الحكام ، واصفاً إياهم بأنهم هياكل ميتة ، وتشتد قسوة الشاعر على الحكام والعرب فيتمنى ألا يكون عربياً ، ولو استطاع أن يبيع نسبه لفعل لما يراه من أفعال الحكام ، وهو يقصد من وراء ذلك استثارتهم ، ولكنه بتعبير قاس كئيب ، وبصورة قاتمة سوداء ، يقول [1] :

يا ليتني لم أكد من يعرب نســباً
لو يشتري نسبي قد بعته يهبـــا

لو كنت كالنمل والأعداء تقتـــله
لرق لي من شقيقي قلبه وصبـــا

كأن رقي وإذلال اليهود يـــــدي
عبد لهم أين ألقى الديـــن والنسبا

وأطول أسرى في قد العـــدو إذا
ما طول العقم بالأنصار واتعبـــا

إلى متى القدس والإسلام منتحـــب

(١) ديوان أبي سرور ص ٧ .

يمسي ويصبح مقتولاً ومغتصبـــا

ويتجه الشاعر إلى القادة العرب يحضهم على التمسك بما جاء به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والاعتصام بمقومات الدين وقيمه، حتى تحقق الوحدة ، مبيناً للقادة أنهم كالقلب والأمة الجسد فإذا صلحوا صلحت الأمة ، وإذا فسدوا فسدت الأمة ، يقول [1] :

يا قادة العرب راعوا في أمانتـــكم
تقوى الإله وذودوا كل ذي دخـــل

ويسروا لإختراعات الشعوب يـــدا
يد الملوك على التقوى سما الدول

واستمسكوا بيد الإسلام اجمعهـــا
ما زاغ حاشاكم إلا أخو خطـــل

فإن صلحتم فإن الناس صالحـــة
والحر لم يرض فعل الغي والعلل

والقلب إن لم تنله روح عافيـــة
فأذنوا الجسم بالترحال والفشـــل

ثم يتوجه إلى شباب الأمة يستثير فيهم حمية النفوس ، ويحثهم على الجهاد ، ويستمر في دعوته غير عابئ بفترات الضعف الذي أصاب الأمة ، فيقول [1] :

هيا بنا يا شباب المجد وانتبهـــوا
طال السبات وهذا ليس للبطـــل

---

(١) ديوان أبي سرور ص ٧٠ .

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

هيا بنا نقتني شتى خزائنـــــــا
نحمي حمانا ونبني أكبر الـــدول

أقلامنا ثروة أقلامنـــــــــا دول
أقلامنا مدفع المظلـــوم إن تســـل

وهي القنابل والصاروخ مندفعـــاً
دبابة هي أيضاً وهي كتر مـــــلي

أقلامنا الدين والدنيا وكل عـــــلا
والله عند رجال العدل لا الخطـــل

وردد الشاعر صرخاته تحت عنوان " أين الأحرار " فأبرز استنجاد فلسطين بأبناء الأمة لينقذوها ، وينقذوا المسجد الأقصى من ظلم الباغين ، مبيناً أن السبيل الوحيد لإنقاذ فلسطين هو الجهاد ، ويضيق لما أصاب المسلمين فأفقدهم مقومات الحياة الحرة ، فأصبح لا يراهم إلا إشلاء ممزقة ، ولا حياة لمن تنادي ، تهان مقدساتهم وأبناؤهم مشغولون بجدل فارغ ، ويسيطر عليهم الجبن والخور .

ولكن الشاعر يدعو إلى ترك البكاء الذي هو من سمات النساء إلى الاستبسال .. وهو واثق من نصر الله على الأعداء ، لأنه إحساس شاعر ينظر إلى الغد المشرق بمنظار كل أبناء الوطن فيقول [1] :

إلا تنادي الحي للحي غيرتـــــي
وتطلب منهم للهدى صبح فتيـــة

إلام تنادي الباسلين عقيرتـــــــي
نداء أحيا كالنداء لميـــــــــت

---

(١) ديوان أبي سرور ص ٢٠ .

إلام تنادي في بنيها عزيزتـــــي
بحي إلى نهج الفلاح أعزتـــــي

وحي إلى فكي من الأسر إخوتـــي
فأسرى أسر الأمة العربيـــــــة

وحي إلى إنقاذ قدسي وملتـــــي
أحاط بها الأعداء من كل وجهـــة

تقول لها ذوقي الهوان وأنتـــــم
شهود لديا كنتمو خير أمـــــــة

فلسطين في قد الهوان أســـــيرة
فهبوا إلى إنقاذ تلك الأســـــيرة

ألا يا بني الإسلام في كل موطـــن
يناديكم الإسلام من كل بقعـــــة

فهبوا لنصر الله أسداً غطارفـــــاً
وذودوا عن الأوطان يا أهل نجدتي

كريمة دين الله هيا لحفظهـــــــا
ومن كرم الأحرار حفظ الكريمـــة

ويستمر الشاعر في بث الحمية ، واستثارة الغيرة في النفوس، وحث القوم على الجهاد ضد الأعداء وقتالهم ، مؤمنين بنصر الله ، لأنه جهاد مقدس ، كما يعبر الشاعر عن معاناة الشعب الفلسطيني صاحب القلب الجريح وهو الضحية الأولى طالباً من شباب المسلمين أن يقوموا بالجهاد والتضحية من أجل أن يكفكف دموع الأطفال الرضع ويسكت صرخات الشيوخ ، وأنين النساء

، فيقول [1] :

يا شباب الإسلام في كـــل أرض
يا بني العرب قادة الشجعـــــان

غصبت أرضكم ودنست عرينـــا
واستباح الحريم ذو الطغيـــــان

ذي فلسطين من ينام سعـــــيداً
وهي تكوي مأسورة في هـــوان

ذبح الرضع اليتامى لديهـــــا
بقر البطن من حسان الحســـان

كم كريم الله صلى لفـــــرض
هشمت أنفه نعال الجبـــــان

يا للهفي على فلسطين بيعـــت
بالنفاق المذموم والعصيـــــان

أي حر تهنا الحياة لديـــــه
تحت أسر الصليب والأوثـــان

قاتلوا المشركين صفاً جهـــــاداً
وأشربوا الموت في حمى الأوطان

طهروا القدس والبلاد جميعـــاً
من يهود ورجسها الطغيـــاني

(ج) هوان المسلمين وضعفهم :

---

(١) ديوان أبي سرور ص ٥٣ .

ويرسل أبو سرور الصرخات المدوية لما أصاب المسلمين من ضعف وهوان وعجز ، فأصبحوا أشلاء ممزقة ، تهان مقدساتهم ، ويسيطر عليهم الجبن ، وتتنفس بينهم الرذيلة ، ويقوم بين أيديهم كتاب الله القويم ، لكنهم يحيدون عنه فتستبد بهم الحيرة والضلال ، ويجتمع عليهم الأعادي في توحد قوى وهم مشتتوا الفكر والشعور والأبدان ، فيناديهم ليستيقظوا من السبات ، طالباً منهم الجهاد حتى النصر بإذن الله ، فيقول [1] :

يا بني الدين والعروبة أنتـــــم
قادة الحرب من قديم الزمـــــان

قد أبى دينكم عليكم وعـــــز
أن تهونوا لسافل خـــــــوان

إنه العار أن تعيشوا أســـارى
في يهود ورجسها الكفـــــراني

لم نعد نحن با انتصار ومجـد
حين نشكو العدوان للعـــــدوان

إنما النصر أن تهبوا أســـودا
لا تبالوا بالموت في الميـــــدان

قدموا القائد المظفر فيـــــكم
ما لنا قائد ســـوى القـــرآن

إنما الله عند من يتقيـــــــه
لا انتصار لفاسق ومـــــدان

عاش حي حمـــاة أسد ودين

---

(١) ديوان أبي سرور ص ٥٥ .

والهوان المشين حظ الجبـــــان

وفي قصيدة أخرى يدعو الشاعر إلى الاتحاد ، ونبذ الخلاف ، والتنبيه إلى ما يحاك في الخفاء لإشاعة الفرقة " بين أبناء الأمة ، الذي يؤدي إلى الضعف ، ولذا أنحى باللوم والتقريع على قادة الأمة الذين استكانوا إلى الفرقة وتركوا العدو يتلاعب بهم كيفما شاء ، مبيناً أن القوة في الاتحاد ، فيقول [1] :

للاتحاد كيـــــان لا تقـــاومه
قوى العدو وإن جدت له أبـــــدا

لم تتحد أمة إلا قد انتصـــــرت
وامتد سلطانها واستفحلت عضدا

ما بالنا نحن والأعداء قاســـية
نجر ذيل الهوى خلفاً بغير هـــدى

تنمر الخصم فينا واستهان بنا
وظل يكشر عن أنيابه أســـــــدا

ونحن نضرع حوليه وليس لنا
إلا التمسكن نرجو رحمة وندى

من يرج من خصمه نصراً تخطفه
نسر الحوادث حتى يضمحل سدى

من يشك من دهره غدراً فلا غدرت
أيامه لكن الإنسان قد فســـــدا

من لم يثق بكتاب الله خير هـــــدى

---

(١) ديوان أبي مسرور ص ١٨ .

ضل الصوى وغدت أيامه رصدا

ما كان ما كان إلا من تفرقنـــــا
إن التخالف تلفي غبه النـــكدا

كل يقول أنا فرعون فانتظمـــوا
تحتي عبيد وإلا سمتكم أبـــدا

وما درت خسة المغرور أن هنـــا
كمين خصم علينا يحرق الكبـــدا

وما له ها هنا موسى ليعرفـــه
لنستريح من الطاغي ومن رصدا

فلنطرح الحقد ولنأسف لفائتنـــا
ولنبن مستقبلاً لله قد صمـــــدا

إمامنا الوحي والمختار قائدنـــا
والحق وجهتنا عشنا بذي سعـــدا

(د) حالة العرب عامة :

ورفع الشاعر صوته بالتنديد بالحكام في ثورة عارمة ، هذه الثورة تطفح وتفيض بالسخط على الحالة العامة للعرب ، لأنهم تجاهلوا وأنكروا قومهم وتغاضوا عن مكانتهم ، وتجاوزوا دائرة الإهمال في المشاركة مما أدى ذلك إلى تهديد كيانهم والقضاء على قيمتهم ، فأدى بالشاعر إلى بلورة الوعي العربي ، والتحفز لإنقاذ شخصيتهم ، والتحرر من العبودية والذل ، وإنقاذ لبنان وفلسطين فنراه يقول [1] :

إلى متى نحن للطاغوت نحتـــكم

(١) ديوان أبي سرور ص ١٣ .

أنطلب العدل من خصم هو الحكم

إلى متى نحن لا نلوي إلى ثقة
بالله تعصمنا ممن هم ظلموا

ناوي إلى الشرق هل نأوي إلى أحد
إلا لأقسى عدو ما له ذمم

ونقصد الغرب أيدينا فهل رجعت
إلا على قطعها والكيد يزدحم

لبنان تقصف والباقي معرضة
والقدس محتلة يبكي لها الحرم

إنا تركنا كتاب الله منتبذاً
فعلاً لذا ساد فينا الظلم والجرم

فلنأو لله ولنرجع لشرعته
ما ذل والله من بالله يعتصم

والله ينصر فينا عزمة شهرت
غني بها السيف والصاروخ والقلم

ويقول أيضاً واصفاً جمال لبنان مستنهضاً الهمم لإنقاذ لبنان وهي مغلولة اليد إلى عنقها ، وهي ملومة محسورة ، فيقول [٢] :

وتلك لبنان والأغلال موثقة
فيها ولم تر شهماً للإبا وثبا

تكوي على وجهها في كل ثانية
أحشاؤها مزقت تحت الهوان هبا

(٢) ديوان أبي سرور ص ٤١ .

لبنـــان لبنان لا تنفك باكيـــــــة

عيني عليك وكبدي قطعت إربـــا

فإن تكن جنة في الأرض قد علمت

فتلك لبنان لا غاليت فيك نبـــــا

إليك حج جمال الكون معتمـــراً

وقارناً ويافراد إليك حبـــــــا

أيرخص الحسن أن يؤذيه ذو سفه

ويملك الحر وغد حالف النهبـــا

وترى أن مصر قد صهرته كما صهرت كثيرين غيره من الشعراء والأدباء ، فيتألم ألماً شديداً من اغتصاب اليهود وأنصارهم سيناء والجولان ، وتنقطع أحشاؤه عليهما من المناورات والمساومات حول استردادهما ، وذلك في قصيدته بين القنابل والقنا التي قالها قبل اندلاع حرب السادس من أكتوبر بيوم وكأنها بعثت الحرب وأشعلتها ، فيقول [1] :

بين القنابل والقنا والمدفـــــع

نيل المنى من غاصب متسبـــع

سام الثلاثة لا خفى موت العـــدا

لقنهم درساً به في المصـــــرع

أرسل على هدف ولا تخط الصوا

خطا الرماة يحط قدر المدفـــــع

لا تبد ما لا تستطيع لفعـــــــله

فالإدعاء مغرة لم تنفـــــــــع

(١) ديوان أبي سرور ص ٨ .

توحي لخصمك أن يعد جهـــــوده
للقاء بطشك غرة لم تدفـــــــــع

حتى إذا أشتبك القنا يوم اللقـــا
ألفيت نفســـــــك عارياً من أدرع

ألقيت نفسك لقمة ساغ الهنـــــا
في أكلها لجيوش خصم أجشـــــع

وتستمر دعوته لمواصلة التصدي ، في شعره الحماسي الذي ينطلق من نفس متأثره لا تعرف الاستقرار ، وهذا يدل على أن شعره كان صدى لدافع حقيقي يضطرم بين جوانحه ، وشعور صادق بضرورة الدفاع ومواصلة الجهاد ، بروح الاستبسال ، وخدمة طريق الكفاح المسلح لا بالسماع إلى الأصوات الدولية ، ولا إلى القمم والمؤتمرات التي يلفها الفشل دائماً ، والتي نقضي فيها ليالي من عمرنا ، وتنتهي بصياغة بيان فقط يدان فيه الخصم وهذه إشارة إلى عجز وضعف حكام العرب ، يقول [1] :

ليس السياسة أن تقول وتدعـــــي
كذباً ولكن فطنة لســمـــــــيدع

إن قال سابق قوله صـــــــاروخه
يلقي الأعادي كالشوى المتمـــزع

من ينتهج نظماً سوى شرع السما
خارت قوائمه بكل تصـــــــدع

ما حاد عن هدى السما ودليـــــله
إلا كليل بصيرة لم تنفـــــــــع

يا ويل أمة أحمد إن لم تفـــــــــق
عن غيها وترد قبل المصـــــرع

---

(١) ديوان أبي سرور ص ٩ .

أين العقول بني الحنيف المرتضى
هل من مجيب علني لم أسمع

أين التآلف هل رأيت من الملا
إلا صحائف سودت بالأدمع

نبكي ونجتمع الليالي نشتكي
وقلوبنا لم تجتمع بالمجمع

كم قمة رمنا بها عرش السما
فإذا بنا من عرشها في مصرع

كم جلسة عقدت لأمن يرتجي
أضحت بنا ناراً تؤجج أضلعي

ما الأمن ما التحرير ما باب العلى
ما النصر إلا وحدة لم تصرع

تمشي على أسس الشريعة فالسما
لم تأتنا إلا بأكمل منزع

ضعنا وضيعنا الهدى ما بيننا
جهراً ومن يضع الرشاد يضيع

ونراه أيضاً يندد بالحكام العرب وأكاذيبهم ، وافتراءاتهم في حق الشعب ، كما يندد بأساليب الاستعمار وخداعه للعرب .. فعلى الأمة أن تعتمد على قدراتها الحقيقية والابتعاد عن الآمال الكاذبة للدول الكبرى ، كما يلفت نظر الحكام العرب إلى الدفاع عن الوطن لأن ضياعه خطر على تلك الحكومات قاصداً إيقاظهم من السبات العميق ، وبين أن المشكلة الأساسية والمصدر الرئيسي لمصائبنا أن كل حاكم من حكام العرب يريد أن يكون رأساً بذاته والكل يطمع في كل ، وكل واحد منهم يظن أنه رئيس المنطقة كلها وفي ذلك يقول [1] الشاعر :

---

(١) ديوان أبي سرور ص ١٠ .

هذي مصائبنا ولم يبرح بنـــا
ما نشتكي أبداً إذا لم نقـــــلع

نمسي ونصبح لا نفكر في مـــدى
لكن حياة ترأس وتنطـــــــع

فشمالنا في شرق أعداء الهـــدى
ويميننا في غربها المتسبـــــع

كل يبيع أخاه في أوهـــــامه
بيع الكساد وذا فساد المجمـــع

عرف العدو ففت في أيدي الأخا
ما بيننا ومشى بكل مضيـــــع

بث المكائد محكماً أوتارهـــا
مكراً على قيثارة المتوجـــــع

فيد يصافحنا بها فيها المنـــى
ويد لها في القلب نهشة أقـــرع

يمتص ثورتنا فيطعم مشبعـــا
منها ويفتك بالألوف الجـــــوع

يبني خزائننا قنابل من لظـــى
تقضي علينا وهو لم يتضعضـــع

يأتي على يدنا اليمين ويجتـــري
في قطع يسرانا بها في مقطـــع

هذي وربك والحوادث يقـــظ
خدع العدا هلا نفيق ألا نعـــي

(هـ). نصر أكتوبر:

وتمضي سنوات عجاف ، وإذا بفجر السادس من أكتوبر تنتشر أضواؤه وتنشر معه بشائر نصر عظيم على إسرائيل في الجبهتين المصرية والسورية ، وتلتصق أفئدة العرب في كل مكان بالإذاعات تصغي إلى البلاغات الحربية وما تحمل من أنباء الانتصارات الباهرة ، ويعبر الجيش المصري الباسل القناة ، ويغسل أدران هزيمة يونيو حزيران ١٩٦٧ " [١] .

وفجرت حرب أكتوبر قصائد ودواوين الشعراء العرب في مصر وسائر أقطار الوطن العرب ، وتدفقت معارك حرب أكتوبر عبر قصائد الشعر العربي الحديث على اختلاف اتجاهاته الفنية والسياسية والاجتماعية ، وكان الشعر هو الفن الأدبي الأول في حصاد أدب أكتوبر العربي " [١] .

وكان أبو سرور يعيش في آلامه من اغتصاب اليهود لسينا والجولان ، وإذا به يفتح المذياع فيسمع أن الحرب قد اشتعلت لاسترداد سينا فهزته مشاعره ، وأخذ يتابع المعركة ، وفي يوم السادس من أكتوبر يجسد أحاسيس النصر في هذه القصيدة وكأنه أحد أبطالها ، يقول [٢] :

حمى الوغى وتقدم الأحـــــرار
وتصارع الصاروخ والطيـــــار

حمى الوغى وتصعدت نيرانهـــا
ذاب الحديد بها وزال العـــــار

الله أكبر لا كســـام ثلاثـــة
تصغى له الآذان والأحجـــــار

درس صغير بالقنابل والقنـــــا
خير لنا أن يكثر الإنـــــذار

---

(١) د / شوقي ضيف ــ الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ط ٢ ، القاهرة ــ دار المعارف ١٩٨٤ م ، ص ٢٣٥ .

(١) أحمد محمد عطيه ــ حرب أكتوبر في الأدب العربي الحديث ــ القاهرة ، دار المعارف في سلسلة إقرأ ــ أكتوبر ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) ديوان أبي سرور ص ٣٢ .

لم تغن ست سنين في إنذارنـــا
ليهود ما أغنته عنا النـــــار

عبثوا بسينا غاصبين لأرضنـــا
والغصب ظلم في الورى وبـــوار

لكنه ما نام مســـلوب القـــرى
قد بات يعلي ضيمة إســـــعار

نظروا الهدا فتسابقوا لمنـــاره
إن التسابق للعلا فخـــــــار

وإذا بدا نصر يؤزر أمـــــــة
أخذت تنظم صفها الأقـــــدار

ووقف الشاعر محفزاً وداعياً إلى مواصلة الكفاح المسلح ما دامت إسرائيل رفضت السلام واختارت القتال ، مبيناً ما فعله الصهاينة في العرب وذلك لاستنهاض همم الجنود وأعطاهم الحافز الذي يجعل الجندي يضحي بنفسه من أجل سيناء ، فيقول [1] :

طلبوا الأراضي بالسلام قبيـــل أن
يهراق أي دم إليه يصـــــــار

طلبوا السلام وهم أسود معـــارك
طلب الســـلام من الكمى فخـــار

فأبت يهود وأمهات حنانهـــــا
إلا القتال وتلكم الأقـــــــدار

وبذاك قد طاش العدو وقد عـــتى
وطغى برأس طموحة استهتـــار

(١) ديوان أبي سرور ص ٣٣ .

ملأ السما من قاذفات قنابـــــــل
ما كادت الدنيا به تنهـــــــــار

غرسوا النبال على ضفاف قناتنـــا
لو فجروه تلاشت الأمصـــــــار

ولما جرى ذاك الخضم سوى لظـــى
ولما نجا من ويله مغـــــــوار

ظمى العدو لشربة من نيلنـــــــــا
والنيل للأعداء فهو النـــــــــار

حمل السلاح بنوه في درع الهـــدى
درع الهدى ما فلها الكفـــــــــار

فتحوا المعارك للقتال عنيفـــــة
والعنف شان الحر حين يغـــــــار

قدموا على النابال ملء حقولـــــه
والعلم عندهم له استثمـــــــــار

فقضوا عليه عابرين قناقـــــم
كيف العبور غرائب تحتـــــــار

ما كاد حتى الحشر يوماً يرتجـــى
نيل القناة وهل لعجز عـــــــار

ومعركة أكتوبر معركة وطنية ذات أبعاد قومية أصيلة ، فهي معركة الأمة العربية ضد الظلم والاستعباد ، فيتفاعل أبو سرور مع المعركة القومية الخالدة وكأنه بطل فيها ، فيقول واصفاً تلك المعركة ، وما دار فيها من قتال وقع على إثره شهداء من العرب أو قتلى من اليهود ، مبيناً شجاعة وبراعة وبسالة الجندي والفتى المصري في القتال ، يقول [1] :

(١) ديوان أبي سرور ص ٣٤ .

إن الفتى المصري في هذي الوغى
قد زاد عن سبعين ألفاً جـــــاروا

فالأرض من نار المعارك أصبحـــت
تلك الجحيم بها غدا الكفـــــــار

وتراسلت نحو السما أبطالنـــــا
بالطائرات لها القضا أمطـــــــار

والبحر يمخر بالقتال عبابـــــة
ودم الوغى طوفانه والنـــــــار

والبر مما فوقه متضائـــــــق
والكون من هول الوغى مختـــار

وصوارخ ما زال تعترك الـــــردى
مع طائرات يهود مهما طـــــاروا

فإذا بدا سرب تلقى نسفـــــــه
سرب صوارخ كلها دمـــــــار

فمن الثراء إلى السماء تصاعـــدت
نار تلظى صوتها هـــــــــدار

بحر من النيران هاج ســـــــفينه
دبابة طيارة طيـــــــــــار

ومدافع وقنابل تهمي الفنـــــــا
وفيالق ضاقت بها الأقطـــــار

تمشي بسينا فوق لحم هـــــــامد
وعلى حديد مزقته النـــــــار

وترى الرماد وتلك تلك جسومهـــم
تذرو الرياح لها كما تختـــــار

لم ينج من خضر القتال لأهـــــله
في واشنطن وغيرها ما ســـاروا

كتبت بأيدينا منايا خصمنـــــا
مهما بقى إن غره استهتـــــار

إنا ملائكة العذاب على العـــدا
بأكفنا الإهـــلاك والإسجـــــار

من كان عند الله كان نفـــوذه
تقضي على أعدائه إن جـــاروا

والأسد لو حلمت ولكن الـــردى
في حلمها يصلي به الغـــــدار

والظلم لا يبني كيان ممـــالك
لو أن مخترعاتها الأقمـــــار

وفي القصيدة نفسها ينادي الشاعر أبناء مصر والعروبة الذين وجدهم الشاعر أخوة في العزة والكبرياء ، مبيناً في تلك القصيدة صنيعة المستعمر ومحاولاته في تحطيم الكيانات التي تسعى إلى الحرية وتطالب بالجلاء ، مذكراً أبناء مصر والعروبة بالقدس ولبنان رامزاً إلى عملاء الاستعمار المحسوبين على الوطن ، والذين يضعون أيديهم في أيدي الأعداء الوقحة ، فيقول [1] :

يا مصر يا أرض العروبة يا حمـــى
لولاك مصر كسا حمانا العـــــار

(١) ديوان أبي سرور ص ٣٦ وما بعدها .

لو بت في قد اليهود أسـيرة
لم تبق في بلد لنا أحـرار

أنت الحمى لمقدسات حنيفنـا
ولمجدنا لو شاغب استنـكار

يا أمة الإسلام يا عرب القنـا
أبصرتموا ما تفعل الأشـرار

لا تجعلوا الأعداء أحبـاباً لـكم

إياكم وصـاكم القهـار

من صد عن أمر الإله ونهيـه
ما صد عنه ذلة وصغـار

تلك الأعادي تجتني ثرواتـكم
ناراً عليكم إن ذلك عـار

كونوا لمصر تكن لكم نعم الفـدا
ما ضيعت عهد الوفا أبـرار

وتداركوا القدس الشريف من العـدا
كم بات يدعو أيها الأحـرار

أتنام عنه العين من أنصـاره
أم أن أنصار الهدى فجـار

حاشاهم أن يُستباح حمـاكم
ما عشتموا حيتكم الأنصـار

هل تنتسي لبنان في رجـس الأذى

وعلا على الجولان رجس عـــار

فلتصمدي لله رايات الهـــــــدى

لباك منه النصر والإكبـــــــار

(٢) الواقع الإسلامي :

وخلال الأجواء اللاهية من الثورة والتمرد على السلطة والنقم على الاستعمار التي تحدث عنها الشاعر ، تتضح ملامح الفكر القومي عنده ، حيث أصبحت القومية تعني الإعتزاز بالتراث النضالي للأمة بوعي جديد ، والوعي القومي لدى أبي سرور يعبر بالالتزام الثوري النضالي مع الجماهير ، كما يظهر ذلك الوعي في استدعاء الشخصيات الإسلامية ذات الأثر في التاريخ ، أو الأماكن ، أو الأحداث وتوظيف هذا المستحضر توظيفاً أدبياً ، ويحال رمزاً أو تلميحاً ، أو تذكيراً ، يضفي على العمل قوة الدليل ، أو الشاهد ، فيربح العمل الأدبي عند استخدامه ثراء الجو الرمزي بكل ما له من إيحاءات وأبعاد وتفجيرات .

ذلك لأن الاستحضار و " وتوظيف التراث يضفي على التجربة الشعرية نوعاً من الأصالة الفنية عن طريق إكسابها هذا البعد التاريخي الحضاري ، ويكسبها في نفس الوقت لوناً من الكلية والشمول بحيث تتخطى حاجز الزمن فيمتزج في إطارها الماضي والحاضر في وحدة شاملة [١] .

والحقيقة أن الشاعر يختار من الشخصيات الإسلامية والتاريخية ما يلائم أفكاره وقضاياه

---

(١) ينظر : د / علي العشري زايد : استدعاء الشخصيات الذاتية في الشعر العربي المعاصر ــ القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٩٧ م ، ص ١٦ .

التي يريد أن يشرك فيها المتلقي .

وبرز في شعر أبي سرور الاعتزاز بالماضي واستحضاره لإثارة الهمم لمواجهة الاستعمار ، ومخاطبة الاحتلال بقوة المؤمنين وطاقاتهم وقدرتهم على المواجهة ، فنجد أبا سرور يستعيد الماضي القريب ، ما في الأمة باستحضار متواصل في شعره الذي يفيض بالروح القومية الصادقة .

لقد وجد شاعرنا في الشخصيات الإسلامية أرضاً خصبة ، فاتخذ منها رموزاً يعبر بها عن تجارب تتوافق دلالتها مع الدلالة التراثية للشخصية ، والذي دفعه إلى المقارنة بين الماضي وواقع الأحداث التي يعانيها عالمنا العربي ، فاستحضر عمر بن الخطاب رضي الله عنه كرمز إسلامي في تاريخنا ، واستلهمه الشاعر ليكون أنموذج القيادة المعاصرة ، ويعمق ذلك في قصيدته وا عمراه ، حيث بدأ بتوجيه دعوته إلى الحكام لينصروا القدس ولبنان فتذكر عمراً وخالداً الذي يرمز إلى الجندي العربي الشجاع المتمسك بسيفه ، الممتطي فرسه ، المنجد لإخوانه في أوقات المحن ، فلعلها تكون بمثابة بث الروح الرافضة للذل والهوان ، يقول :

فذا زمن يا خالد لم نجد بـــــه
لإرثك شهما أين أيــن الضراغـــم

مضيت عقيماً والنسول كثيـــــرة
وما زال بين الناسلات التعاقـــــم

ألم يبق في عضو الرجا نبض أمل
فإن طبيب اليأس للظهر قاســـــم

مضى عمر والمجـــد ولى وراءه
مع العدل أما الغي قاض وحـــاكم

فيا حسرتاه من يخاطب ميتـــاً
ويا عمراه ما تزال المناتـــــم

إلهي إن الدين ديس عرينـــــه

ودكت رواسيه وقد ساد غاشـــــم

يسوم الهدى سوء العذاب فخذ على
صياصيه حرب الله ليس يقـــــاوم

أغر بجنود قد سلحوا القضـــــا
ليُنقذ مظلوم ويهلك ظـــــالم

فيا قادة الإسلام هبوا لنقـــــذه
فأنتم له أنصاره والدعائـــــم

فلا هان دين الله والعز والإبـــــا
لدى معشر صانت حماهم صـــوارم

ويستحضر الشاعر فارساً آخر بملامحه التي تعكس العروبة الأصيلة ، ألا وهو " خالد بن الوليد " البطل الذي ارتبط في وجدان كل مسلم بانتصاراته ، وفي قصيدته " الشعر بين العروبة والجهاد " يجعل من مواقفه البطولية المستدعاة نموذجاً للاحتذاء ، ومن حسن الطالع أن عنوان القصيدة مناسب تماماً لشخصية " خالد بن الوليد " التراثية ، بل ويستوحي معه " طارق بن زياد " ذلك البطل العربي الشهم المعروف بحميته ، ويتساءل قائلاً الآن ظهر هذان الفارسان وظهورهما يعكس مدى تعمق الوجدان الإسلامي في نفوس العرب ، فيقول [1] :

قد استرق الفساد والناس وامتلكوا
من العدا ماجنوا إلا الوبا لهبـــــا

فأين خالد نادوه لينقذنـــــــا
يا ابن الوليد غدونا أمة شعبـــــا

فأين سيفك يمحو العار من دمنـــا
لا عار أنكا من هون بنا ركبـــــا

(١) ديوان أبي سرور ص ٤٤ .

يا طارق بن زياد كيف تتركنـــا
أسرى لأسراك بالأمس الذي ذهبـــا

لو كنت فينا لما كان الهوان بنـــا
لكن لو عرفت لم تبعث الأربـــــا

واستمر الشاعر في استحفاز العرب بتحريك الشعور الديني وقيمه الروحية ، وتراثه النضالي في التصدي لهؤلاء الغاصبين ، ولذلك نراه يربط الماضي بالحاضر حين يستوحي بطلاً عربياً جديداً يعرض خلاله روح القومية ، ويستنهض الهمم ليعيد للأمة مجدها ، وصلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين ومحرر القدس ، رمز داعم لمضمون القصيدة ومراميها التي تتمحور حول التحرير والجهاد ، وكأنه يريد أن يقول لحكام العرب أليس فيكم صلاح الدين ينقذ البلاد والعباد ، وهذا يعكس اعتقاده بيقظة قومية تسعى إلى استرداد الأراضي العربية والقدس ، فيقول في ذلك [1] :

يا شهم أنت صلاح الدين هب تجـــد
تلك الفتوحات تبغي منك حد شبـــا

تمزقت بين ذي شرك وذي وثـــن
بكاؤها يا صلاح الدين هب أبـــــا

فلم تجد غير نمل الأرض من خلف
ما يفعل النمل إن بالنعل قد سحبـــا

ويستحضر الشاعر رمضان بما فيه من دلالات دينية وفتوحات عظيمة وذلك ليستنهض الإحساس القومي من حالة الصمت الرهيب ، والعجز المهين ، الذي تعاني منه الأمة العربية إزاء أحداث مأساوية تتعرض لها القدس ولبنان وغيرها .

(١) ديوان أبي سرور ص ٤٤ .

فتحدث عن شهر رمضان وما فيه من روحانيات ربانية أعطاها الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفرض الصيام فيه على كل مسلم ومسلمة ، ولكن الله جل وعلا لم يفرض صيام الأمة العربية ، والجيوش ، والصواريخ ، والقنابل ، عن الجهاد ، فيتساءل أين القدس ، أين سينا ، أين لبنان ، أين فلسطين ، ما الفرق بين رمضان الذي يعيشه قوم في أمن وأمان ، ورمضان الذي تعيشه لبنان وفلسطين وأهل القدس ، ولذلك يزكي نار القومية الرافضة للذل والهوان ويدعو للدفاع عن الأرض والعرض . يقول [1] :

رمضان أنت على الشهور إمـــام
وعلى الوجود تحية وســـــلام

رمضان أنت على الزمان فضـيلة
كل الفضائل عندها أرحـــــام

ركن من الأركان في دين السمـا
لم يستقم من دونه إســـــلام

تأتي الشهور من الأنام مناثمـــاً
وإذا وصلت تلاشت الآثـــــام

فإذا مضى رمضان عن أبنائـــه
خرجوا ولا إثم ولا أســـــقام

فكأنهم ولدوا بيوم خروجـــه
أعلى وليد دقائق الآثـــــام

شهر به عن ألف شهر ليـــلة
يا نعم من بروا به وأقامـــوا

(١) ديوان أبي سرور ص ٦٣ .

قد صفدت فيه شياطـــين الأذى
أفلا يصفد عندنا الإجـــــــرام

ولكل شيء قد مضت أيامـــــه
ذكرى وذكرى صومنا الصمصام

ذكرا الصيام محمد في ســـيرة
نبوية للعالمين نظـــــــام

ذكرى الصيام جيوش أنصار الهدى
تمحي بها الأنصـــــاب والأزلام

ذكر الصيام صوارخ وقنـــــابل
ومدافع تفنى العدا وجمـــــام

لم تبق مغتصباً على أرض لنـــا
أرض الحنيف على العدو حـــرام

أين الفتوحات التي قـــد شـيدت
تاريخ أذار الفتوح صيـــــام

ما بالنا نلقى الفروض على الثـرا
ولنا على ما يستحب زحـــــام

كثر التلاقي والبكاء مـــــزور
ولدى القلوب فكلنا أقســـــام

أين المقدس أين سينا والقنـــا
أين الخليل على الخليل نـــــلام

أسفي على هذي الشعوب إلى متى
في نير أسر الظالمين تضـــــام

وهكذا فإن شعر أبي سرور يفيض بالروح القومية الصادقة ، ويتفاعل بحس صادق مع الأحداث .

عناصر الإبداع الفني في شعر الاتجاه القومي عند أبي سرور

أولاً : اللغة والأسلوب :

إذا كان الشاعر يقوم بدور اجتماعي وحضاري مع أبناء عروبته من خلال اللغة الشعرية ، وما تحدثه من تأثيرات في تطور المجتمع فإن للغة دورها المباشر في عملية الإبداع الفني للتجربة الشعرية ، فاللغة هي المرحلة المهمة في مراحل الخلق الشعري ... فإذا كانت القصيدة على حد تعبير" أليوت " تبدأ أولاً كجنين كائن، أو نطفة ، فإن الشاعر يبحث عن الكلمات الملائمة التي تشكلها، ويعد ذلك تحل القصيدة محل التكوين الغامض أمام الشاعر نفسه ، وتصبح كياناً جديداً له تأثيره الخاص في الجمهور . كما أن الشعر هو أكثر الفنون الإبداعية خصوصية في ارتباطه الدقيق

بالوجدان الجماعي للأمة من خلال اللغة [1] .

فالشاعر المبدع هو الذي يجد نفسه في بناء لغته ويطورها ، ويحييها لأنها تعد الأداة التعبيرية التي تربطه بالجمهور ، وحين يستخدمها يمنحها حياة جديدة مشعة بما يحدثه فيها من تأثيرات وانفعالات ، ولذا فالألفاظ والتراكيب تتجاوب معه [2] .

ولهذا " فالألفاظ في القصيدة ليست مجرد أصوات وأشكال خارجة بل هي ذات مدلولات معنوية . ومن هنا يرتبط اللفظ بالمعاني ارتباطاً خاصاً وعميقاً لا يمكن فكه ... وأصبح النظر إلى القصيدة كبناء كلي شامل غير مجزأ [3] .

كما أن لكل كلمة في القصيدة موضعها الصحيح الذي تقوم فيه بدورها ووظيفتها التي لا تصلح غيرها في مكانها ، كما يقول ابن الأثير " فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب ، وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فيستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد ، وفي استجلاب المودات والاستعطاف وأشباه ذلك [1] .

ولذا نرى الشاعر أبا سرور قد اعتنى باللغة عناية فائقة لما لديه من ثروة هائلة في المفردات ، والتراكيب بسبب كثرة إطلاعه في الموروث الشعري ، فأختار اللغة التي تتناسب مع طبيعة الأحداث المحلية والقومية التي مر بها الوطن العربي ، فاستعمل ما أشار إليه ابن الأثير وهو اللفظ الجزل ، فجاءت ألفاظه مباشرة ممزوجة بالانفعال الصادق ، والنبرات القوية متمثلة في استثارة الشعوب واستنفارها في مواجهة العدو الصهيوني ، كما يبرز في قصائده أسلوب الوعد والوعيد تجاه الصمت الذي استشرى في الأمة العربية وقبض على ألسنتهم بمقابض من حديد ، والتنديد بالاستعمار ، مبيناً وموضحاً فشل اجتماعات العرب ، وما يعقب هذا من حسرة لأنهم غير مدركين ما يحاك بهم ، وما يدبر لهم ، ويخرجون منها دون أن يحققوا شيئاً ، فيقول [2] :

---

(١) التيار القومي في الشعر العراقي ، ص ٤١٧ .

(٢) ينظر : التيار القومي في الشعر العراقي ، ص ٤١٧ .

(٣) مفهوم الشعر ، د / جابر عصفور ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨ ، ص ٤٠ .

(١) المثل السائر لابن الأثير ١ / ٢٤٠ ط / نهضة مصر ١٩٥٩ م .

(٢) ديوان أبي سرور ، ص ٩ .

يا ويل أمة أحمد إن لم تفق

عن غيها وترد قبل المصرع

أين العقول بني الحنيف المرتضى

هل من مجيب علني لم أسمع

أين التآلف هل رأيت من الملا

إلا صحائف سودت بالأدمع

نبكي ونجتمع الليالي ونشتكي

وقلوبنا لم تجتمع بالمجمع

كم قمة رمنا بها عرش السما

فإذا بنا من عرشها في مصرع

كم جلسة عقدت لأمن يرتجى

أضحت بنا ناراً تؤجج أضلعي

ما الأمن ما التحرير ما باب العلى

ما النصر إلا وحدة لم تصرع

وقوله [1] :

كل يبيع أخاه في أوهامه

بيع الكساد وذا فساد المجمع

---

(١) ديوان أبي سرور ، ص ١٠ .

وقوله [٢] :

يا أمة الإسلام طال خلافكم

عودوا إلى الدين الحنيف تصيبوا

لبوا نداء المسجد الأقصى انهضوا

عار إذا لم تنهضوا وتجيبوا

لبوا النداء وأعلنوا تكبيركم
الله أكبر غالب ومجيب

ونلاحظ أيضاً ألفاظ " المدفع ، السلام ، الأعداء ، الجرح ، الضرب ، الدم ، الوطن ، الحق ، هي المفردات الغالية على قصائده في الدعوة إلى التحرر من الاستعمار والاحتلال فتراه يقول [١] في قصيدته القنا والقنابل :

بين القنابل والقنا والمدفع
نيل المنى من غاصب متسبع

سام الثلاثة لا خفى موت العدا
لقنهم درساً به في المصرع

وقوله [٢] في قصيدة الفدائي :

لقن الحرب للعدو اللدود
يا فدائي وانسفن باليهود

يا فدائي هل وهي منك زند
لا وربي فأنت زند الوجود

---

(٢) الديوان ، ص : ٢٤ .

(١) ينظر ديوان أبي سرور ، ص ٨ .

(٢) الديوان ، ص : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

وإن نفسي لشرب دم الأعادي
كاد أهنأ من شرب ماء الخلـــود

ففي الأبيات السابقة لاحظنا أن الشاعر استخدم الألفاظ التي تدعو إلى التحرر من الاستعمار واستنهاض الهمم ومن ذلك " القنابل ، القنا ، العدا ، المدفع ، الحرب ، العدو، الجنود ، فدائي ، الخصم ، دم، الأعادي .

ونلاحظ أيضاً دخول الألفاظ والمصطلحات السياسية الجديدة في قاموس أبي سرور مثل " العملاء ــ الاستعمار ــ الغاصب ــ المناضل والشهيد ، الأحرار ، أبطال ، النبال ، القذاف ، الطيار ، والوغى ، الصاروخ ، الدبابة ، الباسل ، وغيرها :

ومن ذلك قوله [1] :

غرسوا النبال على ضفاف قناتنا
لو فجروه تلاشت الأمصـــــار

وقوله [2] :

وصوارخ ما زال تعترك الـــــردى
مع طائرات يهود مهما طـــاروا

وقوله [3] :

وتداركوا القدس الشريف من العـــدا
كم بات يدعوا أيها الأحـــــرار

وقوله [4] :

وهي القنابل والصاروخ مندفعـــاً
دبابة هي أيضاً وهي كتر ملـــي

---

(١) ديوان أبي سرور ، ص ٣٣ .
(٢) الديوان ، ص : ٣٥ .
(٣) الديوان ، ص : ٣٧ .
(٤) الديوان ، ص : ٧٠ .

وقوله [٥] :

واصل الحرب يا فدائي واصمـــــــد
إنما النصر في صمود الجنـــــود

إن أنلها أعش عليها سعـــــــيداً
أو امت دونها فخير شهـــــــيد

والحقيقة أن انفعال الشاعر بالأحداث هو الذي حرك الألفاظ وحولها إلى طلقات لاهبة يطلقها الشاعر بقوة ضد الأعداء ، وكأن كل كلمة في الأبيات السابقة من كل قصيدة نجدها رصاصة موجهة إلى قلب الاستعمار الغاشم .

ولا نزاع في أن " الشعر مرآة يرى فيها الشاعر أثر انفعالاته النفسية ، حتى تستهويه بواعث الطرب ، أو تحركه عوامل الغضب ، وحيناً يدفعه دافع الرغبة ، أو يصده الخوف والرهبة والشاعر المطبوع ينفذ شعره إلى قلب القارئ والسامع ، ويحدث في نفسه التأثير الذي يقصده الشاعر، ولابد إذن من أن يتجمع في هذا الشعر عاطفة وخيال، تدعمهما صياغة وجمال ، وليس من شك في أن جمال الشعر إنما يكون في روعة أسلوبه ، ودقة نظمه ، وحلاوة جرسه ، وقوة رنينه ، وفي تخير ألفاظه وملاءمة هذه الألفاظ للمعاني ، وإبداع هذه المعاني أو توليدها من المحفوظ ، وخلقها بما يتجدد أمام المتأمل من مظاهر الطبيعة ، وبالتأثر بالمشاعر الإنسانية وما يجد من حوادث الأيام وأحداثها " [١] .

ولقد توافر لأبي سرور من لغة العرب ما لم يتوافر لكثير من غيره من الشعراء المعاصرين ، وذلك يرجع إلى إدمانه القراءة في الموسوعات الأدبية ، ودواوين الشعراء ، وولوعه بأبي تمام [٢] ، والبحتري [٣] ، والمتنبي [٤] ويوسف العظم .

---

(٥) الديوان . ص : ٢٦ .

(١) خمسة من شعراء الوطنية الديوان ، الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٢٤٤ .

(٢) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، شاعر عباسي نشأ في دمشق وتوفى في الموصل ، ينظر : المنجد في اللغة والأعلام ن دار المشرق بيروت ، ص ١٧ .

(٣) البحتري : أبو عباده شاعر عربي طائي ، ولد في منبج ، واشتهر بوصف الطبيعة وحسن الديباجة ، المنجد في اللغة والأعلام ، ص ١١٣ .

وكثيراً ما يسعى أبو سرور في قصائده إلى اختيار ألفاظ ذات قيمة إيحائية خصبة ، بحيث تندمج فتخلق أرضاً خصبة للمعاني والأحاسيس ففي قصيدته مثلاً " أين القدس يا رمضان " استطاع الشاعر أن يربط بين القدس وشهر رمضان عن طريق استخدام الألفاظ ذات الظلال الدينية ، وذكر ما يثير الإحساس واستنهاض الهمم لتحرير القدس فيقول [1] :

رمضان أنت على الشهور إمـــــام
وعلى الوجود تحية وســـــلام

رمضان أنت على الرياض فضيـــلة
كل الفضائل عندها أرحـــــــام

ركن من الأركان في دين السمـــــا
لم يستقم من دونه إســـــــلام

ولكل شيء قد مضت أيامـــــه
ذكرى وذكرى صومنا الصمصام

ذكرى الصيام محمد في ســـيرة
نبوية للعالمين نظـــــــــام

أين الفتوحات التي قد شيـــدت
تاريخ آذار الفتوح صيـــــام

أين المقدس أين سينا والقنـــا
أين الخليل على الخليـــل نـــلام

ومن هذه الكلمات التي توحي بالظلال الدينية : رمضان ، إمام، سلام ، الفضائل ــ

---

(٤) هو أبو الطيب ، من كبار شعراء العرب ولد في كنده بالكوفة ، مدح سيف الدولة ثم كافوراً ثم عضد الدولة البويهي ، المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٥١٩ .

(١) ينظر : ديوان أبي سرور ، ص ٦٣ .

الصيام ــ محمد صلى الله عليه وسلم .

من الكلمات التي تؤدي إلى استنهاض الهمم لتحرير القدس " الفتوحات ــ أين القدس ــ أين سينا ــ أين الخليل " .

والشاعر استغل إيحاء الكلمات ، وجعلها تقوم بدورها في إشاعة الدلالات الفياضة ، فاسم الرسول " صلى الله عليه وسلم " في قصيدته " أين القدس يا رمضان " يضفي جمالاً على المضمون في استنهاض وحمل راية النضال .

وإضافة إلى ما يذكره من شخصيات إسلامية مثل : " خالد بن الوليد " ، " وعمر بن الخطاب " ، " وطارق بن زياد " ، " وصلاح الدين " لما لها في التاريخ الإسلامي من مواقف تبرز معاني العزة والإقدام والنصرة ، وهذا يدل دلالة قوية على ضرورة الوحدة والتمسك في مواجهة الأعداء ، واستنهاض الهمم لتحرير الأرض العربية وخاصة فلسطين والقدس ، يقول [1] .

فأين خالد نادوه لينقذنـــــا
يا ابن الوليد غدونا أمة شعبـــا

فأين سيفك يمحو العار من دمنا
لا عار أنكا من هود بنا ركبـــا

يا طارق ابن زياد كيف تتركنـــا
أسرى لأسراك بالأمس الذي ذهبا

لو كنت فينا لما كان الهوان بنا
لكن لو عرفت لم تبعث الأربـــا

يا شهم أنت صلاح الدين هب تجد
تلك الفتوحات تبغي منك حد شـــبا

تمزقت بين ذي شرك وذي وثـــن
بكاؤها يا صلاح الدين هب إبـــا

---

(١) ينظر : ديوان أبي سرور ، ص ٤٤ .

فإن الكلمات " خالد نادوه ــ طارق بن زياد ، تركنا ، يا شهم ــ صلاح الدين ــ هب

كلها كلمات تضفي جواً من الأصالة واستدعاء أمجاد الماضي العريق ، ليكون الحاضر امتداداً لتاريخ عظماء المسلمين من القادة ، وهكذا تمنى الشاعر أن لو وجد مثل : صلاح ، أو خالد ، أو طارق ، ليحرر القدس من أنياب الغاصبين الصهاينة .

ومن المظاهر الأخرى التي نجدها في أسلوب القصيدة القومية عند أبي سرور تكرار المفردة في البيت الشعري الواحد ، أو في أبيات القصيدة الواحدة .. والتكرار اللفظي له محاسنه في البناء الموسيقي والإيقاعي إذا استخدمه الشاعر استخداماً جيداً ، أو جاء عفوياً بلا تصنع .

" وللتكرار وظيفة تأكيد الدلالة وإبراز المقصود بما لا يفلته من الذهن ويعرضه على الوعي ويحدث ذلك حين يؤدي التكرار دوره في إبطاء لقائنا بالدلالات ، وبما يجعلنا نراها بأكثر من زاوية ، وعندئذ لا يفارق التكرار خاصية التنوع ، لكنه التنوع الذي يترسل بتعدد الدوال لتأكيد وحدة المدلول . وغير بعيد عن هذه الوظيفة ما يؤديه التكرار من استقصاء عناصر المشهد ، أو تعدد الأوجه المختلفة للموضوع الواحد ، أو الكشف عنه في كل تجلياته وممكناته واحتمالات حضوره [1] .

ومن الشعراء الذين استخدموا أسلوب التكرار بمحاسنه الموسيقية والإيقاعية أبو سرور .

فتكرار كلمة العلم وعالم في قصيدة " المرء دين ودنيا " توحي بمدى تعلق الشاعر بالعلم وحبه له ، ويبين أيضاً مدى قيمة العلم الذي يحط أقواماً ويرفع آخرين ، فيقول [2] :

هل للعلى غير سبل العلم من سبل
إن العلى ثمرات العلم والعمل

لا يستوي عالم مع جاهل أبداً
كالنور مع ظلم سوداء في وحل

---

(١) د / جابر عصفور ، تكرار التشبيه مجلة العربي ، فبراير ١ ــ ٢ ، ص ٨٩ .

(٢) الديوان ، ص : ٦٨ .

لم يخش ربك إلا عالم حـــــــذر
والجاهلون من الأخطاء في وجـــل

وكل علم يعين المرء نيـــــــره
لواجب أو مباح فهو ذو جـــــلل

وكذلك تكرار عبارة " هيا بنا " تكرار يوحي ويعكس النبرة الزاعقة التي تبين ما بداخل الشاعر من انفعالات ، وفي الوقت نفسه عبارة دالة على تحفيز روح الشعب واستنهاض الهمم ، وهذا التكرار يترجم عن إحساس عميق بالمسئولية [1] :

هيا بنا يا شباب المجد وانتبهـــوا
طال السبات وهذا ليس للبطـــــل

هيا بنا نقتني شتى خزائننـــــــا
نحمي حمانا ونبني أكبر الـــــدول

وكذلك كلمة أقلامنا كررها أكثر من مرة ، وهذا التكرار يبين مدى إيمان الشاعر بالدور الذي يقوم به الشعر والكلمة التي تعد بمثابة المدفع للمظلوم في وجه الظالم ، بل هي القنابل ، والصاروخ ، والدبابة وهي كثر لا ينفد ، وهذا يدل على قيمة الدور الذي يقوم به الشعر في استنهاض الهمم وبث الروح القومية ، وهذا التكرار يعمق ويعكس الإيمان بنصر الله ، يقول [2] :

أقلامنا ثروة أقلامنـــــــــا دول
أقلامنا مدفع المظلوم إن تســـــل

وهي القنابل والصاروخ مندفعـــاً
دبابة هي أيضاً وهي كثر مـــلي

أقلامنا الدين والدنيا وكل عـــــلا

---

(١) الديوان ، ص ٧٠ .

(٢) الديوان ، ص ٧٠ .

والله عند رجال العدل لا الخطل

وتكرار " لبوا نداء " المسجد في قصيدة " بكاء الأقصى " فهذا يعكس شدة إحساسه بالمكان وأهميته وقيمته الدينية ، والرغبة الحادة في إعلاء شأنه وتحريره وفك أسره ، وأن تتحول هذه الكلمات إلى كائنات حية فاعلة تعمل وترفض وتعبر فيقول (١) :

يا أمة الإسلام طال خـــــلافكم
عودوا إلى الدين الحنيف تصيبـــوا

لبوا نداء المسجد الأقصى انهضوا
عار إذا لم تنهضوا وتجيبـــــوا

لبوا النداء وأعلنوا تكبيركـــم
الله أكبر غالب ومجيـــــــب

وتكرار كلمة " أرض " أربع مرات في البيت الواحد وفي أكثر من بيت ، هذا الأسلوب يعكس رغبته في تخطي عقبة الأحزان القوية إلى التفكير الجماعي لتفجير طاقات الشعوب ، والحث على النضال والكفاح من أجل استرداد الأرض ، ويبين مدى غلو قيمة هذه الأرض والتي بمثابة العرض ، فيقول (٢) :

ليس عيني تنام دون حقوقـــي
دون أرضي بدون قطع وريـــــدي

إن أرض النضال أرض المعالي
أرض آباءنا وأرض الجـــــدود

إن أرضي لقطعة من حياتـــي
من عظامي ومن دمـــي وكبودي

---

(١) الديوان ، ص : ٢٤ .

(٢) ديوان أبي سرور ، ص ٢٦ ، وكذلك تكررت كثيراً ، ص ١٩ ، ٤٧ ، ٢٩ .

إن أنلها أعش عليها سعيداً

أو أمت دونها فخير شهيد

وتكرار كلمة " لبنان " في قصيدة " الشعر بين العروبة والجهاد " أكثر من مرة هذا التكرار يوحي بمدى تعلق قلب الشاعر بها ، وهذا يدل على أن لبنان تستحوذ على كيان الشاعر وجوارحه ووجدانه ، وأيضاً التكرار هنا يعد تعريضاً بغباء المخاطب الذي يجهل قدر لبنان ، وأيضاً فيه استنهاض للهمم ودواء لمرض الصمت الذي أصاب الأمة العربية ، فيقول [1] :

وتلك لبنان والأغلال موثقة

فيها ولم تر شهماً للإبا وثبا

تكوي على وجهها في كل ثانية

أحشاؤها مزقت تحت الهوان هبا

لبنان لبنان لا تنفك باكية

عيني عليك وكبدي قطعت إربا

وتكرار كلمة رمضان في قوله [2] :

رمضان أنت على الشهور إمام

وعلى الوجود تحية وسلام

رمضان أنت على الزمان فضيلة

كل الفضائل عندها أرحام

فإذا مضى رمضان عن أبنائه

خرجوا ولا إثم ولا أسقام

فتكرار كلمة رمضان بلفظها أو بكلمة شهر توحي بما في رمضان من دلالات دينية ووقع شهر رمضان في قلب الشاعر .

---

(١) الديوان ، ص ٤١ .

(٢) الديوان ، ص ٦٣ .

وأيضاً كرر كلمة السلام في قوله :

طلبوا الأراضي بالســـــلام قبيل أن
يهراق أي دم إليه يصـــــــــار

طلبوا السلام وهم أسود معـــــارك
طلب السلام من الكمى فخـــــار

فتكرار كلمة السلام في هذه الأبيات بين مدى حب العرب للسلام لأن الله أرسل إليهم رسول السلام ، وأهمية السلام لحقن الدماء ، ويدل أيضاً على حب العرب للسلام لا عن ضعف بل من منطلق القوة وكراهية اليهود له .

وخلال ما سبق نستطيع أن نقول إن التكرار لعب دوراً واضحاً في القصيدة القومية عند أبي سرور ، فتكرار لفظة ما ، أو عبارة ما ، يمثل عنصراً مهماً من عناصر التعبير ومتكأ لافتاً في شعره .

ومن الملامح الجمالية في لغة الشعر القومي عند أبي سرور ، المفردة الموحية التي تضفي على شكل القصيدة بعداً روحياً يمنحها الحركة والتأثير .

ففي قصيدة " واعمراه " نجد لفظ " سافل " وهي مفردة قبيحة في وصفها المجرد إلا أنها آنست بعداً جديداً داخل إطار الصورة الشعرية التي رسمها الشاعر للتعبير عن الحزن الشديد في المقارنة بين الماضي والحاضر وذلك في قوله [1] :

وأنكاء عار أن ترى الابن سافلاً
وأجداده للماجدات دعـــــــائم

وكذلك لفظة " النمل " وهي مفردة قبيحة في وصفها المجرد إلا أنها أضافت بعداً جديداً داخل في إطار ما يتصوره الشاعر للتعبير عن الحزن والألم الذي لقيه بسبب ضعف ، وهوان ، وعجز الدول العربية ، وما حدث فيها من عربدة حتى أصابها هذا العبث المريع وذلك في قوله [2]

---

(١) الديوان ، ص ٢٨ .

(٢) الديوان ، ص ٤٣ .

لو كنت كالنمل والأعداء تقتله
لرق لي من شقيقي قلبه وهبا

وكذلك لفظة القنابل ، المدفع ، الدبابة ، وهي كلمة مفردة مخيفة في وضعها المجرد إلا أنها جلبت الأمان والاستقرار ، وأضافت بعداً جديداً عكس ما كانت عليه وهي مفردة داخل إطار الصورة الشعرية التي لونها الشاعر بالصوت للتعبير عن مدى القوة التي لا يستهان بها ، ومدى تألم الشاعر من اغتصاب اليهود للأراضي العربية ، وتقطع أحشائه عليها ، مبيناً أن المغصوب لا يسترد إلا بالقنابل والقنا لا بالأوهام والأحلام والمساومة ، فيقول (٣) :

بين القنابل والقنا والمدفع
نيل المنى من غاصب متسبع

سام الثلاثة لا لأخفي موت العدا
لقنهم درساً به في المصرع

أرسل على هدف ولا تخط الصوا
خطا الرماة يحط قدر المدفع

لا تبد ما لا تستطيع لفعله
فالإدعاء مغرة لم تنفع

توحي لخصمك أن يعد جهوده
للقاء بطشك غرة لم تدفع

إن قال سابق قوله صاروخه
يلقى الأعادي كالشوى المتمزع

وكذلك كلمة " تنطع " وهي مفردة تكاد تكون عامية تلوكها الألسن في وضعها المجرد ،

---

(٣) الديوان ، ص ٨ .

ولكنها أضافت شيئاً جديداً عندما انسجمت مع صاحباتها في السياق ، وأدت دوراً كبيراً ، فبينت مدى ما وصل إليه الحكام العرب من التفكير الضيق ، والأنانية وحب الذات ، والمصالح الشخصية ، ومدى تعمق هذا الإحساس الذي جعل فرعوناً لا يرى إلا نفسه يقول [1] :

نمسي ونصبح لا نفكر في مـــدى
لكن حياة ترأس وتنطـــــع

وبهذا اكتسبت المفردة الشعرية حرية الانطلاق بفعل المضامين السياسية والاجتماعية ، وأهمية الشعور الداخلي للشاعر والتجربة الذاتية له ، وبذلك دخلت في قصائد أبي سرور بعض المصطلحات : العروبة ــ القومية ــ الوحدة ــ التحرر من الاستعمار ــ نبذ التجربة، وكذلك دخلت أسماء أماكن ومدن عربية على الساحة الوطنية كرموز للثورة والنضال مثل : " فلسطين ، القدس ، الجزائر ، لبنان ، وغيرها وهذا ما نراه في قوله [1] :

لبنان والقدس كل العرب دون مـــرا
والعرب لبنان والأقصى إذا انتسبا

وقوله [2] :

تلكم فلسطين كم نادت وكم صرخت
وكم بكت ألماً واستجدت شهبـــا

وقوله [3] :

إلى متى القدس والإسلام منتحـــب
يمسي ويصبح مقتولاً ومغتصـــباً

نادي الأشقاء أغيثوني قسا ألمـــي
إذا أشقاؤه موتى بهم نكبـــــــا

وقوله [4] :

---

(١) الديوان ، ص ١٠ .
(١) الديوان ، ص ٤٢ .
(٢) الديوان ، ص ٤٢ .
(٣) الديوان ، ص ٤٣ .

خالوا الجزائر عطشى للدما شرفا
فأمطروها دماً فاخضرت الجزر

وقوله [٥] :

للإتحاد كيان لا تقاومه
قوى العدو وإن جدت له أبدا

لم تتحد أمه إلا قد انتصرت
وامتد سلطانها واستفحلت عضدا

ما بالنا نحن والأعداء قاسية
نجر ذيل الهوى خلفاً بغير هدى

وقوله [١] :

إلام تنادي الحي للحي غيرتي
وتطلب منهم للهدى صبح فتية

إلام تنادي الباسلين عقيرتي
ندائي أحيا كالنداء لميت

وقوله [٢] :

ما كان ما كان إلا من تفرقنا
إن التحالف تُلقى غبة النكدا

ولقد فرضت أجواء النضال على الشاعر أبي سرور أن يتفاعل في قصيدته مع الجمهور، ولذا استخدم الألفاظ السهلة البعيدة عن التعقيد ، مع استخدام الكلمة المفردة ذات الدلالات النضالية ، التي اكتسبها الشاعر من معايشته للقومية ولجو الكفاح ، وهذه الكلمات تعمل على

---

(٤) الديوان ، ص : ٥ .
(٥) الديوان ، ص : ١٨ .
(١) الديوان ، ص : ٢٠ .
(٢) الديوان ، ص : ١٩ .

استنهاض الهمم والدعوة إلى التحرر من الظلم والطغيان ، فيقول [٣] :

إن أنلها أعش عليها سعيداً
أو أمت دونها فخير شهيد
واصل الحرب يا فدائي وأصمد
إنما النصر في صمود الجنود
صارع الخصم بالجهاد قتالاً
وأسقني من دم اليهود الزهيد

وقوله [١] :

فهبوا لنصر الله أسداً غطارفاً
وذودوا عن الأوطان يا أهل نجدتي
كريمة دين الله هيا لحفظها
ومن كرم الأحرار حفظ الكريمة

فنراه في الأبيات السابقة استخدم الألفاظ الواضحة السهلة ذات الدلالات النضالية الموحية .

ومن هنا أصبحت للمفردة السياسية دلالة وارتباط بتجربة الشاعر ، كأن بينها وبين الشاعر علاقات بالشعور والإحساس الداخلي له .

وهكذا نجد الألفاظ تحرك الروح الداخلية لأبي سرور وكأنها تدفع المتلقي إلى المشاركة مع الشاعر في الشعور والإحساس .

وقد برزت في شعر أبي سرور خلال حديثه عن النضال والحكومات والتنديد بها ، ظاهرة الهجاء السياسي ، وذلك بسبب معاناة الشاعر من الواقع العربي ، فتارة يجاهر بمعاداته للمستعمرين وأعوانهم ، والتنديد بالحكومات ، وتارة ينادي الحكومات لاستنهاض الهمم ، وكانت ألفاظ الهجاء السياسي مناسبة في مثل قوله [٢] :

---

(٣) الديوان ، ص : ٢٦ .
(١) الديوان ، ص : ٢٠ .
(٢) الديوان ، ص ١٥ .

أيها القدس كم تنادي ولـــكن

لا حياة فمن ينادي الرمـــــاما

نحن أبناء يعرب نخـــــوات

فارغات على الجدود ارتسامـــا

لو رأتنا الجدود قد انكرونـــا

أن يكونوا أجدادنا فأبك دامـــــا

شيدوا المجد والمعالي تراثـــاً

فقضى جيلنا عليها وخـــــامـا

وقوله [1] :

إلى متى نحن للطاغوت نحتـــكم

أنطلب العدل من خصم هو الحكم

إلى متى نحن لا نلوي إلى ثقـــة

بالله تعصمنا ممن هم ظلمـــــوا

ناوي إلى الشرق هل نأوي إلى أحد

إلا لأقسى عدو ما له ذمـــــــم

وتقصد العرب أيدينا فهل رجعت

إلا على قطعها والكيد يزدحـــم

لبنان تقصف والباقي معرضـــــة

والقدس محتلة يبكي لها الحـــرم

ويلاحظ التنويع أيضاً في أسلوب أبي سرور باستخدامه الخبر حيناً والإنشاء حيناً آخر ٠

فمن الأساليب الإنشائية التي ذكرها الشاعر في شعره القومي أسلوب النداء ، وأسلوب النداء " هو أسلوب ثري بالدلالات العديدة ، وغني بالإمكانات المتنوعة في الأداة والدلالة ، فمن خلال استخدام الأداة يمكننا التعبير عن بعض المشاعر ٠٠٠ كما أن دلالات الأسلوب الندائي

---

(١) الديوان ، ص ١٣ ٠

حاصله بضروب المعاني التي يفهمهما التذوق من خلال قراءة النص الأدبي [1] .

فقد استخدم أبو سرور النداء لأغراض مختلفة كثيرة تنطق بالدلالات ، وتعكس مدى نجاحه في توظيف هذا الأسلوب والتجاوز به إلى غاية بلاغية فاستخدم أسلوب النداء في قوله [2] :

اخوتي قادة البيان سعدنـــــا
بالتقاء يفيض بالعرفـــــــان

وقوله [3] :

يوسف العظم هزني منك صـــوت
قد تعالى على السما وتســـامى

فلم يستخدم الشاعر أداة النداء على الرغم ما بينه وبين من يناديه من بعد المسافة وإن كان هذا البعد حسياً إلا أنه ليس هناك بعد وجداني ولذلك هو يعكس الشعور بالقرب بينه وبين المنادى ، بحذف أداة النداء والابتداء باسم العظم ، ليعكس مدى قرب المنادى ومعايشته له دائماً .

واستخدم أيضاً أداة النداء " يا " التي تخرج عن المعنى الحقيقي للنداء إلى المعاني المجازية ويكون للحسرة وإظهار الألم والحزن والألم ومن ذلك قوله [4] :

يا فلسطين خالد قد تقضـــــي
لم يخلف والله إلا حُطـــــــاما

يا أيها القدس كم تنادي ولـــكن
لا حياة فمن ينادي الرمـــــاما

---

(١) دراسات في المعاني والبديع ، د / عبد الفتاح عثمان ، القاهرة ، مكتبة الشباب ، سنة ١٩٨٣ ، ص ١٠٦ .

(٢) الديوان ، ص ٨ .

(٣) الديوان ، ص : ١٤ .

(٤) الديوان ، ص ١٤ .

والنداء في الأبيات السابقة كله يبعث الحسرة والألم والحزن واللوم لما أصاب الأراضي العربية من ذل وإهانة لأهلهـا .

وقد يكون النداء للتحقير والتنديد والاستهزاء وذلك عندما يندد بالاستعمار ، فيقول [1] :

يا غاشياً أرضنا حرباً ومغتصبـاً
ظلماً ألم تفنك الآيات والنـذر

فيا فرنسا أجيبي ما أقول بـه
وما جواب قتيل ما له أثـر

وقد يكون النداء للتعجب لما وصل إليه حالة العرب والمسلمين عندما ينادي الأمة الإسلامية والعربية وحكوماتها لإنقاذ الأراضي العربية ، والخروج من عباءة الصمت أحياناً يستخدم الشاعر ألفاظاً تخالف القياس الفصيح مضطراً إلى ذلك للوزن كما في " نقذه " ويريد إنقاذه يقول [2] :

فيا قادة الإسلام هبوا لنقـذه
فأنتم به أنصاره والدعـائم

وقوله [1] :

يا قادة العرب راعوا في أمانتكـم
تقوى الإله وذودوا كل ذي دخـل

ومن الأساليب الأخرى التي استخدمها الشاعر ، وتعد من المقومات الجمالية في أسلوبه أسلوب الاستفهام .

وكثيراً ما يستخدم أبو سرور الاستفهام ويخرج به عن إطاره النمطي ، ساعياً إلى ابتكار

---

(١) الديوان ، ص ٦ .
(٢) الديوان ، ص : ٣١ .
(١) الديوان ، ص : ٧٠ .

المشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي ، فيحاول أبو سرور أن ينبه القلوب الغافلة ، والعقول التائهة ، والروح التي لفها الصمت بعباءة السكون القاتل ، وذلك بالاستفهام الإنكاري التعجبي الذي يعمل على تنبيه وإيقاظ الروح الصامتة الغائبة عن الوعي في الحكام العرب ، فنراه يقول [٢] :

أسفي إلام المسلمون وعربهـــم
ناموا وعزى للعدا موهـــــوب

وقوله عن القدس [٣] :

أتنام عنه العين من أنصـــــاره
أم أن أنصار الهـــدى فجـــار

ويستمر الشاعر في استخدامه للاستفهام مبيناً ما يعكسه هذا الاستفهام من التعجب عن وجود بعد وجداني بين القدس والحكام العرب ، والعجز الذي أصابهم ، وأخرس ألسنتهم ، وتحكم في شعورهم ، وتصرفاتهم فلا يستطيعون النطق أو الفعل أو إبداء الشعور منبهاً إياهم ما يفعله اليهود بالقدس ، فيقول [١] :

أيها القدس كم تنادي ولـــــكن
لا حياة فمن ينادي الرمـــــاما

وقوله [٢] :

أين الأشقاء كثر في تعددهـــــم
لكن إذا استنجدوا ألفيتهم خُشبـــا

كما استخدم أيضاً الشاعر الأسلوب الخبري لسرد الحقيقة ، حيث جرت على أرض فلسطين حوادث عدة ، وإبادة جماعية وجرائم بشعة ، هزت وجدان الشاعر أبي سرور، وأصابت قلبه بالحزن والألم ، فعبر في شعره عن تلك الأحاسيس مجسداً البشاعة التي تمت ، ولذا نراه

---

(٢) الديوان ، ص : ٢٣ .
(٣) الديوان ، ص : ٣٧ .
(١) الديوان ، ص : ١٥ .
(٢) الديوان ، ص : ٤٤ .

يستخدم الفعل المبني للمجهول لتعميق تلك الأفعال وآثارها في نفس المتلقي ، فيقول [٣] :

ذي فلسطين من ينام سعيداً
وهي تكوي مأسورة في هوان

ذبح الرضع اليتامى لديها
بقر البطن من حسانِ الحسان

ولربما الحذف هنا جاء لضيق المقام ، ولأن نفس الشاعر متوترة متوجسة ، ونفسه كادت تنقطع فجاء الحذف للدلالة ، وجاءت النبرة سريعة متجاوزة .

ومن الظواهر الفنية في أسلوب أبي سرور ظاهرة التناص مصطلح من المصطلحات المستحدثة التي تم التواضع عليها في مجال الدرس الأدبي والنقدي ، وخاصة بعد استعاضة الحديث عن الثنائية والأسلوبية ، وما قدماه من جديد سواء على مستوى الإبداع أو مستوى التفسير ، وقد أصبح هذا المصطلح أداة كشفية صالحة للتعامل مع النص القديم والجديد على سواء [١] .

وقد عرفت هذه الظاهرة بشكل أو بآخر في التاريخ الأدبي لكل أدب تحت مسميات أخرى كالسرقات ، والاقتباس ، والاستشهاد والتضمين ، وربما التقليد ، وكذلك المعارضة [٢] .

والتناص ظاهرة أسلوبية جاء ذلك في الشعر الحديث ، حيث تؤدي وظيفتها ولا تقوم على الاسترخاء الفكري أو الذهني " فالشاعر يكون قادراً على العطاء ، فمن البدهي أن الشاعر حين يستعين بوسيط يختاره ، أو يختار فيه مواصفات بعينها ليتحقق منها ومن خلالها المراد ، ويقدمه في صورة لا تتاح لغيره ولا تتهيأ مرة أخرى له في موقف آخر " [١] .

---

(٣) الديوان ، ص : ٥٤ .

(١) عن ظاهرة التناص انظر د / محمد عبد المطلب ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، ص ١٣٦ وما بعدها لونجمان ١٩٩٥ م .

(٢) محمد فكري الجزار ، لسانيات الاختلاف ، الهيئة العامة لقصر الثقافة ، سلسلة كتابات نقدية سنة ١٩٩٥ م ، ص ٤٥٩ ، وديوان محمود الأبنودي د / أحمد عبد المجيد خليفة ط / ١ ، سنة ٢٠٠١ ، ص ٤٠٦ .

إذن فالتناص " يخضع للانتخاب والانتقاء الواعي ليقوم بوظيفة يهدف إليها الشاعر ويريدها ، فهو ليس تضميناً عشوائياً ، يصنع الشاعر ما يعن له حيثما اتفق ، بل هو عمل فني متقن يصبح الشيء المضمن جزءاً من القصيدة منسوباً إلى الشاعر وحده ، منفصلاً عن التيار الذي أخذ منه ليذوب داخل القصيدة وينصهر فيها ، فإذا لم يتحقق ذلك ظل كالرمد الذي يؤذي العين وتذري بعمل الفنان [٢] .

ونتيجة لاهتمام أبي سرور بالموروث ظهرت في قصائده ألفاظ ذات دلالات جديدة فنجد الألفاظ القرآنية قد استرفدها الشاعر من آيات القرآن ومن التناص بالقرآن الكريم قوله [٣] :

المجد يزهو ويزكو روضة النصـــر

حيث القنابل لا تبقي ولا تـــــذر

وهذا تناص من قوله تعالى : " لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ " سورة المدثر آية : ٢٨ ، ٢٩ .

وقوله [٤] :

---

(١)(٢) الظاهرة الأدبية في شعر الخوارج د / عبد اللاه حسن محروس ط / الأمانة ط / سنة ١٩٨٨ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٣) الديوان ، ص : ٥ .

سقوا عدوهم من سيفهم ســـــــقراً

حرباً ضروساً وما أدراك ما سقر

تناص من قوله تعالى : " سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ " سورة المدثر أية : ٢٦ ، ٢٧ .

ومن ذلك قوله [٥] :

شهر به عن ألف شهر ليـــــلة

يا نعم من بروا به وأقامـــــــــوا

تناص من قوله تعالى : " لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ "

سورة القدر آية : ٣

ومن ذلك قوله [١] :

تقول لنا ذوقي الهوان وأنتـــــم

---

(٤) الديوان ، ص : ٦ .

(٥) الديوان ، ص ٦٣ .

(١) الديوان ، ص ٢٠ .

هذا تناص في قوله تعالى : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ " .

بعض من الآية ١٠٠ من سورة آل عمران

ومن التناص بالحديث الشريف الذي يعكس مدى الثقافة الدينية لدى الشاعر قوله [٢] :

قد صفدت فيه شـــــياطين الأذى

أفلا يصفد عندنا الإجـــــــرام

وهذا تناص من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا جاء رمضان ، فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين " [٣] .

ومن التناص بالشعر العربي قوله [٤] :

هو المجد ما تبنى عليه المـــكارم

---

(٢) الديوان ، ص ٦٣ .

(٣) متفق عليه رواه أبو هريرة ، رياض الصالحين ص ٤٣٥ ، وفي البخاري سلسلة الشياطين ، صحيح البخاري ، مجلد الأول ج ١ ص ٤٢٥ .

(٤) الديوان ، ص ٢٨ .

وترسمه بالمرهفات الضراغم

ولا شرف كالعلم يسمو بأهله

وليس بغير الجهل تمحى المعالم

تأثر بقول الشاعر :

العلم يرفع بيتاً لا عماد له

والجهل يخفض بيت العز والكرم

ثانياً : الخيال والصورة :

الصورة الشعرية هي التعبير الذي ينقل شعور الشاعر أو أفكاره معتمداً على التجسيد لا على التصريح ولا على التجريد إذن فهي تصوير لعاطفة الشاعر وتجربته ، وتصوير لفكرته التي انفعل بها [1] .

وهي التي تعبر عن إحساس الشاعر باللذة والمتعة ، وعن تجربته الشعرية الصادقة ، وهي التي تشغل مساحة واسعة في النص حتى تشمل النص كله من أوله إلى آخره ، حتى يطل في النهاية بوجه عريض . يحشد فيها الشاعر كل ما هو جميل ليزيد من المتعة واللذة عند المتلقي .

(١) أضواء على الأدب الحديث ــ د / أحمد محمد الحوفي ــ دار المعارف ، ص ١٧٧ ــ سنة ١٩٨١ م .

إذن فالصورة الشعرية : " هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب تجربته الشعرية الكاملة في القصيدة ، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة وغيره من وسائل التعبير الفني [1] .

والصورة الشعرية مع غيرها من الأدوات الفنية الأخرى هي التي تشكل القصيدة ، أي أن الشاعر يعتمد على الكلمة أساساً في تصور ما بداخله ، وإذا نظرنا في شعر أبي سرور نلحظ أنه يظل مرتبطاً على نحو ما ببعض المظاهر الفنية في التراث القديم ، وكثير من سمات الشعر العربي القديم ظلت تبدو فيه بصورة ملموسة .

" والغرض السياسي القومي لم يخلق وصفاً إبداعياً خاصاً ، بل قد تكون الأغراض الشعرية الأخرى أوفر حظاً من الشعر السياسي في مستوى الخيال والصورة " [2] ، لأنه يُعنى بالحقائق .

ولكن " الألفاظ الحسية ليست هي هدف الشاعر ، وإنما هي وسيلة لحفز المشاعر ، واستثارة الحواس ، وتنشيط ملكه التخيل عند المتلقي لفهم الصورة التي يبدعها الشاعر " [3] .

---

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر د / عبد القادر القط ، ط / ٢ ، دار النهضة ــ بيروت ــ سنة ١٩٨١ ، ص ٣٩ .

(٢) التيار القومي في الشعر العراقي ، ص ٤٣٧ .

وأبو سرور رائد متميز في قدرته على رسم الصورة الشعرية المؤثرة ، انظر إليه في قصيدة " بكاء الأقصى" ، وفي قصيدة " إخواني المسلمين " ، جعل الذبح هو أداة المستعمر الغاصب ، حياة تتحرك ليبعث في جسد المناضل روحاً وثابة لمواصلة الكفاح واستنهاض الهمم ، فيقول :

إن المآسي فيك لم تبرح بنـــــا

صبر جميل فالإله رقيـــــــــب

قد ذبحت أبناؤها واستحيـــــت

منها النساء وشرد المرهـــــوب

كم مرضع يبكي أباه وأمـــــــه

قتلاً فيبقر بطنه المجـــــــدوب

فتظل تأكله الكلاب على الحصـــى

وكأنه سخل رماه الديـــــــــب

والمسجد الأقصى ينادي أهـــــله

يا مسلمون أيترك المغصـــــوب

قد داس محرابي وداس منصـــــتي

بعد الخليل المشرك المغضـــــوب

---

(٣) تطور الشعر العربي الحديث في العراق د/ علي عباس علوان ، بغداد ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٤٧ .

وقوله [1] في قصيدته إخواني المسلمين :

ذبح الرضع اليتامى لديهـــــــا

بقر البطن مح حسان الحســـــان

كم كريم لله صلى لفـــــــــرض

هشمت أنفه نعال الجبـــــــان

يا للهفي على فلسطين بيعـــــت

بالنفاق المذموم والعصيـــــان

وكما كان للأحداث الوطنية والقومية من تقسيم الوطن الواحد وتفتيته أو استقطاب الأمة العربية في محاور أثر في نفس أبي سرور وكان له الأثر نفسه في تولد الصورة الشعرية الجديدة المعبرة عن الواقع .

وقد تشكلت عنده التجربة من الواقع العربي ، واستطاع أن يقدم قصائد مبدعه متطورة في صورتها وأخيلتها ، حيث أثار واقع الأمة في نفس الشاعر ، مشاعر الرعب والقلق والتشاؤم ،

(١) الديوان ، ص : ٥٤ .

وتشرنق الصمت بالأمة العربية فلم تثره ، ولذا جاءت أغلب صوره قاتمة كئيبة تعكس الواقع العربي ، فنفسه تتمزق مما يراه أو يسمعه ، وهذا واضح من الأبيات السابقة .

وبسبب اهتمام الشاعر بتشكيل الصورة الموحية اتجه إلى الحوار مع الشباب المسلم والأمة الإسلامية والعربية لاستنهاض الهمم وذلك بأسلوب متعمق كما في قوله [1] :

يا شباب الإســـــلام فلي كل أرض

يا بني العرب قادة الشجعـــــان

غصبت أرضكم وديست عرينـــــا

واستباح الحريم ذو الطغيـــــان

ذي فلسطين من ينام سعـــــيداً

وهي تكوي مأسورة في هـــوان

وقوله [2] :

طهروا القدس من عدو لئـــــيم

---

(١) الديوان . ص : ٥٣ .

(٢) الديوان . ص : ١٦ .

غصب الأرض واستحل الحرامـــا

إنما المجد بالدما نشتريـــــــه

لم نقدم لنيـــله الأوهـــــــــاما

وقوله [1] :

يا أمة الإسلام يا عرب القنـــــا

أبصرتموا ما تفعل الأشـــــــرار
لا تجعلوا الأعداء أحباباً لـــــكم

إياكم وصاكم القهـــــــــــار

وقوله [2] :

طهروا القدس والبلاد جميعـــــاً

من يهود ورجسها الطغيـــــاني
جرأ الظـــــــــالمين فيكم ولاء

للمقيمين ظهرها في الكيـــــان
كلما كسرت يهود فتـــــــاة

---

(١) الديوان ، ص : ٣٧ .

(٢) الديوان ، ص : ٥٤ .

قد شكوتم لأمها في الحنـــــــان

وملئنا الأرجاء قول شجنـــــــا

وسعينا لمجلس البهتـــــــــان

ثم نلوي لراقصات عرايـــــــا

بعد بث الآلام والأحـــــــــزان

إنها إمكانات أبي سرور الخاصة تتميز في قدرته على التقاط الصور اليومية ذات التأثير القوي ، ووضعها في إطار لوحات شعرية، انظر إليه كيف ينقل إلينا صورة مباشرة مما يفعله اليهود الغاصبون في لبنان ، وذلك في أثناء حديثه عن لبنان في قصيدته " الشعر بين العروبة والجهاد " وذلك لاستنهاض الهمم وإشعال النفوس وإيقاظ العزائم يقول : (١)

وتلك لبنان والأغلال موثقـــــة

فيها ولم تر شهماً للإبا وثبـــا

تكوي على وجهها في كل ثانيـــة

أحشاؤها مزقت تحت الهوان هبا

لبنان لبنان لا تنفك باكيـــــــة
عيني عليك وكبدي قطعت إربـــا

فمن راك قبيل اليوم زاهيـــــــة

---

(١) الديوان ، ص ٤١ .

وخالك اليوم غماً مات أو كربـــا

فإن تكن جنة في الأرض قد علمت

فتلك لبنان لا غاليت فيك نبـــا

إليك حج جمال الكون معتمـــرا

وقارئاً ويافراد إليك حبـــــا

ولاشك أن فلسطين هي الجرس المدوي الذي قرع أسماع العرب ، وسيذكر التاريخ أن فلسطين قد نبهت العرب إلى خطر الصهاينة الجسيم ، ولكن تركوها تسقط في براثن الأعداء .

وقد استخدم الشاعر في ذلك كلمات تعكس مجموعة من الأحاسيس والمعاني والأفكار التي سيطرت عليه فأبدى تلك الصورة عن فلسطين في أبشع مشاهدها ، صورة تشيب لها رؤوس الصبية وهي توحي بالكآبة والاشمئزاز والبؤس ، فيقول [1] :

تلكم فلسطين كم نادت وكم صرخت

وكم بكت ألماً واستنجدت شهبـــا

تقول لي وعلى أخضابها بقـــرت

بطن أطفالها الأيتام لا ســـــبا

أيرضى الحر والإسلام يملكـــني

رجس اليهود ويوليني الأسى نصبا

---

(١) الديوان ، ص : ٤٢ .

يهيل لي كل يوم من جرائمـــــــه

شتى المصائب يسقيني بها الكربـــا

ولعلنا من خلال الصور السابقة نجد شيوع اللون الأحمر في فضاء الكلمات ، فهذا يناسب النضال والشهادة ، والحرب ، والكفاح ، والجهاد ضد المغتصب الصهيوني .

ومن عناصر الصورة الشعرية وأدواتها عند أبي سرور التشبيه ، فقد استخدم أبو سرور التشبيه ليغني النص بطاقات إيحائية، فالتشبيه هو وسيلة لنقل التجربة بالصورة المحسة والمجسدة في يسر وسهولة ووضوح ، وهذا يجعل القارئ يشارك الشاعر الإحساس والوجدان .

فمن ذلك قوله [٢] :

أما قرأنا عن الأباء سيرتهـــــم
كأنها الشمس حلت دارة الحمـــل

فقد نقل المعنوي سيرة آبائنا وأجدادنا التي تفتح لنا طريق الكفاح إلى مصاف الشمس المشرقة الجميلة التي لا تغيب ، إلى عالم المحسوسات ليوحي بمدى عراقة وأصالة الآباء والأجداد ، وهذا استنهاض للهمم لكي يعيدوا هذا المجد القديم .

وقوله [١] :

ويقصفون بها شتى ممالكنـــــا
ونحن كالنائم المرتاح وهو خلي

وهنا كانت الدلالة أقوى إذ جعل العرب والحكام نياماً لا يشعرون بشيء ولا يحسون بما حولهم إذ المآسي لا تؤرقهم ، إشارة إلى حالة الصمت الذي لف الحكام العرب .

وفي قوله [٢] :

---

(٢) الديوان ، ص : ٦٨ .
(١) الديوان : ٦٩ .
(٢) الديوان : ٤٣ .

لو كنت كالنمل والأعداء تقتله
لرق لي من شقيقي قلبه وصبا

فلا أشد من النمل مهانة وضعفاً يهون قتله على الأعداء ، ولكن شقيقه لا يرق له قلبه وهذا يوحي بمدى تفاهة العرب عند العدو والضعف الذي أصاب العرب .

وقوله (٣) :

فتظل تأكله الكلاب على الحصى
وكأنه سخل رماه الذيـــــب

فالطفل الفلسطيني الرضيع بعد موت أبيه وأمه لا يعدو أن يكون سخلاً (وهو ابن الماعز) ضعيفاً تطمع فيه الذئاب .

جزئية في قمة الروعة والجمال مع أنه في الحقيقة مؤلم ، وهذا لاستنهاض الهمم ، ولكي تتحرك الخشب المسندة ، وهذا يوحي بفظاعة ما يفعله اليهود من جرائم بشعة ضد الشعب الفلسطيني ، وهذا مع فظاعته وقسوته التي تكوي الشعور والإحساس إلا أنه لا يثير هم الأموات .

ومن عناصر الصورة التي استخدمها الشاعر أبو سرور الاستعارة ليكشف ما فيها من دلالات متنوعة .

ففي قوله (١) :

نحن من دوخوا الزمان قديمـــاً
سائل الدهر نحن سدنا الأنامـــا

تنبع الصورة في قوله دوخوا الزمان ، بمدى قوة العرب وصلابتهم لو اتحدوا ، ولكنهم تمزقوا وتفرقوا وجهلوا قدرهم وقوتهم ، فهانوا على أنفسهم ثم هانوا على غيرهم .

وقوله (٢) :

---

(٣) الديوان : ٢٣ .

(١) الديوان ، ص : ١٧ .

تلكم فلسطين كم نادت وكم صرخت
وكم بكت ألماً واستنجدت شهبـــا

البيت مليء بالصور الجزئية الدالة على الطاقات الإيحائية وهي توحي بمدى ما وصلت إليه فلسطين من مأساة وألم حتى جعلها تبكي وتصرخ وتنادي وتستنجد ولا من مجيب لأن الأمة العربية أصابها داء الصمم الذي لا دواء له سوى الاتحاد .

وقوله [1] :

خالوا الجزائر عطشى للدما شرفا
فامطروها دماً فاخضرت الجزر

فأمطروها دماً : استعارة مكنية تجسد ما فعله الاستعمار الفرنسي بالجزائر وتشير إلى كثرة القتلى والدماء التي أريقت ، والعرب لا حياة لمن تنادي.

وقوله [2] :

يا لتني معكم والحرب كاشـــرة
عن نابها ويكفي الصـــارم الذكر

الحرب كاشرة عن نابها : تصوير بشع يوحي : بشدة الحرب إذا حمى وطيسها وما دار فيها من مآسٍ .

وقوله [3] :

أيها القدس كم تنادي ولـــكن
لا حياة فمن تنادي الرمـــاما

فالقدس كائن حي تعايش معه الشاعر مخاطباً ومنادياً ومشاركاً ، الآلام والحزن ، وما فعله بها الاستعمار الصهيوني حتى أنه يئن ويصرخ وينادي ، ولكن لا مجيب ، لأن العرب أصبحوا رماماً موتى لا يسمعون.

---

(٢) الديوان ، ص : ٤٢ .
(١) الديوان ، ص ٥ .
(٢) الديوان ، ص ٧ .
(٣) الديوان ، ص ١٥ .

ومن عناصر الصورة أيضاً التي استخدمها أبو سرور الكناية لتكتمل عناصر الصورة والكناية أداة من أدوات التعبير الرمزي التي تستطيع أن تشع إشعاعات متنوعة ، تدل على المراد والمقصود وتمنح المتلقي التفسيرات التي تروقه وتلائم مقصود الشعر .

ومن الاستعارات التي استخدمها أبو سرور قوله [1] :

وتلك لبنان والأغلال موثقـــة

فيها ولم ترشهما للإبا وثبـــا

ففي الأغلال موثقة : دلالات ثرية لتستجمع قسوة التعذيب ، وعجز لبنان إزاء ما تفعله اليهود وصمت العرب .

ومن عناصر الصورة التي استخدمها الشاعر أبو سرور الجناس وذلك في قوله [2] :

أين المقدس أين سيناء والقنـــا

أين الخليل على الخليل نـــــلام

فالتطابق حرفي بين الخليل والخليل ، حيث اللفظ الواحد إلا أن تداعي المعنى مختلف ، فالخليل الأولى يقصد بها الصديق العربي ، والثانية يقصد بها الخليل سيدنا إبراهيم عليه السلام ، أو مدينة الخليل بفلسطين ، وإلى جانب الجرس الموسيقي الناشئ عن الاتفاق في الحروف نجد التباين في المؤدى الدلالي وهذه لفتة تحسب للشاعر حيث أحسن توظيف البنية موسيقى ودلالة .

وقوله [3] :

أتنام عنه العين من أنصـــــاره

أم أن أنصار الهدى فجـــــار

اللفظ واحد بين أنصاره وأنصار ، والمعنى مختلف ، فأنصار الأولى يقصد بها الذين يدافعون عن القدس وفلسطين ، والثانية هم أنصار الدين من العرب .

ومن عناصر الصورة عنده الطباق :

---

(١) الديوان ، ص ٣٤ .

(٢) الديوان ، ص ٦٤ .

(٣) الديوان ، ص ٣٨ .

* والطباق من صور البديع التي لاقت اهتماماً كبيراً من البلاغيين فـ " الطباق إذا يعد عن التكلف أصبح ذا فاعلية تأثيرية بالغة ، فليس هو مجرد تحسين معنوي زائد على أصل الكلام ، وإنما هو تعبير فني يمتزج فيه المعنى باللفظ فلا تستطيع التفريق بينهما [1] .

وأبو سرور لم يستخدم الطباق من أجل التجميل والصنعة والزخرفة ، وإنما أتى به عفوياً لخدمة المعنى وتعمق الإحساس عند المتلقي ، ومن ذلك قوله [2] :

أعشق الموت في رضى الله ربي
لا أهاب الأعداء إن حيـــاتي

فالجمع بين الحياة والموت أعطى جمالاً ظاهرياً في الموسيقى وأسلوبياً في التعبير بالإيماء إلى شجاعة البطل فإذا استشهد فهو في معية الله ، وإذا عاش فلا يخشى الأعداء ولكنه يخاف الله .

وقوله [3] :

أخواني المسلمون شرقاً وغربـــاً
تلك أوطان إخوتي أوطـــاني

فالتناغم بين (شرقاً وغرباً) أعطى تأكيداً للمعنى وأسمعنا جرساً وموسيقا تردد حيث نادى المسلمين شرقاً وغرباً على اتساع العالم الإسلامي في كل مكان ، مستنجداً وشاكياً .

وقوله [1] :

لو بت في قد اليهود أســـيرة
لم تبق في بلد لنا أحـــــرار

الطباق بين أسيرة وأحرار .

وهنا أظهر الطباق صفات الرجال الذين اختاروا مواقف فيها التحدي والتضحية للوصول إلى الهدف، وهو تحرير الأرض ، فالطباق كشف عن معادن الرجال ، حيث أنه لو أسر في

---

(١) دراسات في المعاني والبديع ، ص ٢٠٩ .
(٢) الديوان ، ص ٥١ .
(٣) الديوان ، ص ٥٢ .
(١) الديوان ، ص ٣٧ .

يد اليهود ، لو وجد رجال يدافعون عن الوطن ولم يبق فيه أحرار ، فلولا التضحية ما كان هناك تحرير للأرض .

ومن خلال ما سبق نجد أن الصور الشعرية لدى شاعرنا حافلة ، وزاخرة ، ومستوفاة لعناصر الصورة الشعرية .

وقادرة على تقديم المشهد للمتلقي حتى تحدث عنده الإحساس الذي لازم الشاعر وقت نظم القصيدة .

ثالثاً : الموسيقا :

الشعر هو تنظيم لنسق أصوات اللغة [١] ... ويتألف من كلمات تنظم فيما بينها انتظاماً مخصوصاً تبعاً لتعاقب الحركة والسكون ، مما يصنع الشعر وزنه المميز وإيقاعه الخاص [٢] .

ولقد اهتم النقاد العرب القدماء بالجانب الموسيقا للقصيدة ، ولذلك نجد ابن طبا طبا قد ركز في تعريفه للشعر على الانتظام الوزني للقصيدة وبذلك تصبح البنية الصوتية للقصيدة قسماً وينفصل عن المستويات الدلالية والنحوية [٣] .

وقد تحدث ابن سينا عن الشعر فقال : " الشعر كلام مخيل مؤلف من أقوال ذوات إيقاعات متفقة ، متساوية ، متكررة على وزنها متشابهة حروف الخواتيم [٤] كما قال الفارابي في

---

(١) نظرية الأدب ، واستن دارين ، تحقيق محي الدين صبحي ، سنة ١٩٨٢، ص ٢٠٥ .

(٢) مفهوم الشعر د . جابر عصفور ، ص ٣٦٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٤) ابن سينا جوامع علم الموسيقا ، ص ١٢٢ ، تحقيق زكريا يوسف .

تعريفه للشعر " قوام الشعر وجوهره أن يكون قولاً مؤلفاً ، مما يحاكي الأمر وأن يكون مقسوماً بأجزاء ينطق بها في أزمنة متساوية [٥] .

ولقد " شغلت الأوزان الموسيقية للقصيدة النقاد ـــ قديمهم وحديثهم ـــ وارتباط هذه المسألة بعناصر الشعر الأخرى كالتخيل والمعاني والشكل الشعري . وبرزت نظريات مختلفة حول علاقة الوزن بالموسيقى وإيقاعها ، كان جميعها تحاول تفسير الظواهر الشعرية التي انطلقت بها قريحة الشعراء العرب وحددها الخليل بن أحمد الفراهيدي في قانونه العروضي المعروف : ومهما يكن من أمر، فإن القصيدة التقليدية اعتمدت قانون الوزن الشعري وفق بحوره الستة عشر على الرغم من محاولات الانفلات التي برزت على مر العصور الشعرية [١] .

والحقيقة أن الشاعر إذا استخدم البحر لا يستخدمه ليناسب الغرض إنما ليناسب حالته النفسية التي يعاني منها الوجدان ، ومن النقاد الذين ذهبوا إلى هذا المذهب د . إبراهيم أنيس حيث قال : " نبضات القلب تزيد كثيراً مع الانفعالات النفسية ، تلك التي يتعرض لها الشاعر في أثناء نظمه ، فحالة الشاعر النفسية في الفرح غيرها في الحزن واليأس ، ونبضات قلبه

---

(٥) مفهوم الشعر ، ص ٣٦٧ .

(١) التيار القومي في الشعر العراقي ، ص ٣٨٢ .

حين يتملكه السرور سريعة يكثر عددها في الدقيقة ، ولكنها بطيئة حين يستولي عليها الهم والجزع ، ولابد أن تتغير نغمة الإنشاء تبعاً للحالة النفسية ، فهي عند الفرح والسرور سريعة متلهفة مرتفعة ، وهي في اليأس والحزن بطيئة حاسمة " (٢) .

والوزن حقيقة مقيد بأبحر ثابتة يصعب تغييرها أو التخلص منها في القديم ، يقول إبراهيم أنيس : " التجديد في الأوزان نادر وتطورها بطيء تمر عليها القرون والأجيال دون أن يصيبها ما يسترعي الانتباه ، أو يلفت النظر ، وذلك لأن إلفة الوزن وشيوعه في البيئة اللغوية يتطلب زمناً طويلاً وإنتاجاً شعرياً كثيراً ، حتى يعتاده جمهور كبير من السامعين ويستسيغوا ما فيه من نغم موسيقي " (٣) .

وهذا يجعلنا نتساءل عن موقف أبي سرور من الأوزان الشعرية هل استخدم أوزان الخليل ولم يجاوزها إلا بما يتفق وشخصيته هو ؟ أم تمرد عليها في بعض الأحيان وولد من عنده بحوراً خاصة ؟

---

(٢) إبراهيم أنيس ــ موسيقى الشعر القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٨، ص ١٧٥ .

(٣) موسيقى الشعر ، ص ١٨ ، ط / ٥ .

والحقيقة أن الشاعر استخدم من الأوزان ما يتلاءم مع حالته النفسية بحيث تكون تعبيراته صدى لما يتأمل من مشاعر وأحاسيس .

فعندما تتألم نفسه ، يقع له الوزن الحزين المؤلم الهادي النبرة التي تعلو تدريجياً بحيث تقف على طبيعة الألم الذي يوجد في الغضب فاستخدم بحر البسيط في قوله [1] :

إلى متى نحن للطاغوت نحتـــكم

أتطلب العدل من خصم هو الحكم

واستخدم بحر الطويل في قوله [2] :

إلام تنادي الحي للحي غيرتـــي

وتطلب منهم للهوى صبح فتيـــة

واستخدم أيضاً بحر الخفيف لأن موسيقاه تتسم بالخفة والسهولة ، واستخدم الشاعر هذا البحر أيضاً ليلائم حالته النفسية الحزنية المفجوعة ، ولذلك اختار ألفاظاً يتسم إيقاعها بالهدوء مع وقعها النفسي الشديد على السامع وذلك في قوله [3] :

---

(١) الديوان : ٦٨ .

(٢) الديوان : ٢٠ .

لقن الحرب للعدو اللـــــدود

يا فدائي وانسفن باليهـــــــود

واستخدم أيضاً الخفيف في قوله [1] :

هزني الشوق والإخا وبيـــــان

حين قالوا هنا التقاء البيـــــان

واستخدم بحر الوافر في قوله [2] :

هو المجد ما تبنى عليه المـــكارم

وترسمه بالمرهفات الضراغـــم

واستخدم أيضاً بحر الكامل في أكثر من قصيدة منها قوله [3] :

بين القنابل والقنا والمدفـــــع

نيل المنى من غاصب متســـبع

---

(٣) الديوان : ٢٥ .

(١) الديوان : ص ٥١ .

(٢) الديوان : ص ٢٨ .

(٣) الديوان : ص ٨ .

القافية :

وإضافة لاهتمام العرب بوحدة الإيقاع الموسيقي للقصيدة ، فقد ازادوا ذلك باهتمامهم بالقافية ، وللقافية في الشعر العربي سلطان كبير، وقيمة موسيقية عظيمة ، وتكرارها يزيد من وحدة النغم [١] .

والحقيقة : " أن هناك صلة واضحة بين كلمات القافية وموسيقى البيت في الشعر العربي التقليدي ... وللقافية فيه سلطان يفوق ما لغيره من اللغات الأخرى " [٢] .

---

(١) التيار القومي في الشعر العراقي ، ص ٣٨٣ .

(٢) النقد الأدبي الحديث د . عز الدين إسماعيل . دار الفكر العربي ، ص ٤٦٨ .

" فالقافية قيمة موسيقية في مقطع البيت حيث إن تكرارها يزيد في وحدة النغم ، وهي ذات قيمة كبيرة في الشعر الجيد .. لأن الشاعر يطوعها لصالح معنى البيت الذي ينهي عندها نهايات طبيعية " (٣) .

والقافية تحدد للذي يسمع نهاية البيت وبداية ما يليه ، وكلما وصلنا إلى حرف الروي أدركنا أن البيت انتهى وبدأ ما بعده ، وهي بمثابة نقرات الطبلة في الجوقة الموسيقية ، وهي التي تضبط الإيقاع كله ، فهي لها فوائد ولها إسهامات في الموسيقا الشعرية ، ولكن وجهت إليها السهام فقالوا عنها إنها ترهق الشاعر ، فيضطر في بعض الأحايين إلى إقحام القافية التي لا ضرورة لها في المعنى ، والقافية من الموسيقى الظاهرة .

وإذا نظرنا إلى شعر أبي سرور نراه التزم بالقالب الموحد ، وذلك لثقافته العربية ، والتزامه بالموروث منها في الشعر قافية وروياً وبحراً .

انظر إليه كيف يستخدم القافية طوعياً في قصيدته " أين القدس يا رمضان " التي يلزم فيها حرف الميم فقد جاء الروي ميماً منسجماً انسجاماً كلياً مع المعاني المأساوية لحادثة إهانة القدس ، فنراه يقول (١) :

ذكرى الصيام محمد في سـيرة
نبوية للعالمين نظـام

ذكرى الصيام جيوش أنصار الهـدى

تمحي بها الأنصـاب والأزلام

ذكرا لصيام صوارخ وقنـابل

ومدافع تفني العدا وحمـام

---

(٣) التيار القومي في الشعر العراقي ص ٣٩٢ .

(١) الديوان ، ص : ٦٤ .

لم تبق مغتصباً على أرض لنـــا

أرض الحنيف على العـدو حرام

أين الفتوحات التي قد شـــيدت

تاريخ آذار الفتوح صيـــــام

واستخدم قافية الميم ــ أيضاً ــ في قصيدة " لبنان والقدس " وقصيدة واعمراه ، وقصيدة ، " فلسطين يا بقايا " .

كل هذه القصائد السابقة استخدم فيها قافية " الميم " التي تدل على العزم والتصميم والثورة الجائحة ، مما لا يحتاج معه إلى بيان ، فهو واضح من أن أبا سرور يضع يديه على الألفاظ والتراكيب التي تنقل ما في وجدانه وما يضطرم به نفسه من ثورة على العرب ، وتنديد للحكام ، وبغضه للاستعمار وما يفعله في فلسطين والقدس .

وعلى الرغم من طول القصائد فلا نلاحظ أي فتور في التواتر الموسيقي للقصيدة الذي ظل محافظاً على نبراته النغمية الحزينة الثائرة طوال تلك القصائد .

وهذا يدل على أن للقافية سطوتها وهيمنتها وسلطانها على الشاعر .

وكذلك استخدم حرف الراء الذي لا يقل أهمية في الدلالة على أداء المعنى من تردد الصوت المتابع وأيضاً فيه دلالة تدل على الحيرة والقلق وعدم الاستقرار والخوف والجزع الذي أصاب الشاعر من حالة الأمة العربية ، وما يفعله الاستعمار في الوطن العربي ، وفيه كلمات تدل على القومية والعروبة ، كلمات تثير الرعب والقلق والتوجس " تنهار ، النبال ، لظى ، تحتار ، يغار ، ولان حرف الراء صوت جهير فهو يتناسب مع قعقعة السيوف وضجيج المعركة ، وذلك في قوله [1] :

---

(١) الديوان : ٣٣ .

ملأ السما من قاذفات قنـــــابل

ما كادت الدنيا به تنهـــــــار

غرسوا النبال على ضفاف قناتنـــا

لو فجروه تلاشت الأمصـــــار

ولما جرى ذاك الخضم سوى لظى

ولما نجا من ويله مغـــــوار

فتحو المعارك للقتال عنيفـــــة

والعنف شأن الحر حين يغـــار

قدموا على النابال ملء حقولـه

والعلم عندهم له استشمـــــار

فقضوا عليه عابرين قناتهـــــم

كيف العبور عرائب تحتـــــار

والوطن يستعر بالانتفاضات والثورات ضد الاحتلال فكان للنكبة القومية في فلسطين الأثر الكبير في تعميق المشاعر في نفس الشاعر فقال قصائده معبراً عن تجربته الشعرية .

ومن أبرز قصائده التي قالها : " إخواني المسلمين " التي كان الروي فيها حرف " ن " الذي يعطي دلالة فيها : أنين وتوجع وطنين حينما يوضح الشاعر حال المسلمين والعرب والحكومات العربية ، فيقول [1] :

---

(١) الديوان . ص : ٥٣ .

يا شباب الإســـــلام في كل أرض

يا بني العرب قادة الشجعـــــــــان

غصبت أرضكم ودنست عرينـــــا

واستباح الحريم ذو الطغيـــــــان

ذي فلسطين من ينام سعـــــيداً

وهي تكوي مأسورة في هـــــوان

وقد استخدم أيضاً حرف اللام للتعبير عن الدلالات السياسية ، وذلك في قوله [1] :

يا قادة العرب راعوا في أمانتكم

تقوى الإله وذودوا كل ذي دخـــل

ويسروا لاختراعات الشعوب يـــداً

يد الملوك على التقوى سما الـــدول

واستمسكوا بيد الإسلام أجمعهـــا

ما زاغ حاشاكم إلا أخو خطـــل

وقد استخدم أيضاً حرف العين ليعبر عن وجدانه الحزين المؤلم من اغتصاب اليهود وأنصارهم الأراضي العربية ، وتقطع أحشائه ، وتسيال دموعه ، فهذا الروي يتناسب مع حالته النفسية ومن هذه الكلمات : " مصرع ــ مدفع ــ أجسام ــ أدمع ، وكلها كلمات توحي بالألم والدموع والحسرة لما أصاب الأمة العربية ، وذلك في قوله [2]:

من ينتهج نظماً سوى شرع السما

خارت قوائمه بكل تصـــــدع

---

(١) الديوان ، ص : ٧٠ .

(٢) الديوان ، ص : ٩ .

ما حاد عن هدى السما ودليـــــله
إلا كليل بصيرة لم تنفـــــــع

يا ويل أمة أحمد إن لم تفـــــــق
عن غيها وترد قبل المصـــــرع

فالقافية تشكل عنصراً هاماً من عناصر الإيقاع الموسيقي نتيجة لتكرار صوت واحد في أواخر الأشطر ، فأحياناً تتفق القافية الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، وهذا النوع يعطي إيقاعاً موسيقياً ، وقد فعل أبو سرور ذلك الإيقاع المتكرر ، فيقول [1] :

حتى إذا اشتبك القنا يوم اللقـــا
ألقيت نفسك عارياً مـــــن أذرع

ألفيت نفسك لقمة ساغ الهنـــــا
في أكلها لجيوش خصم أجشع

فنجد أبا سرور يجعلنا نتشوق إلى القافية الأولى حين تصل إلى نهاية الشطر الثاني فإذا اختلفت قافية هذا الشطر ظننا أن هناك قلقاً ، ثم تأتي قافية الشطر الأول من البيت الثاني موافقة لنظيرتها في البيت الأول فنشعر بلذة لهذه الموافقة ، ولكن قافية الشطر الثاني من البيت الأول تظل معلقة حتى تعود إلينا بعد القافية الأولى ، وهذا يمتع الأذن بمتعة النغم الموسيقي ، وهذا ما يسمى بمبدأ التنوع الذي يقول فيه شكري عياد : " إن مبدأ التنويع كثيراً ما يدفع كلاً من الموسيقا والشاعر إلى الانتقال من مفتاح إلى مفتاح في القطعة الواحدة ، وذلك أن تأثير اللحن يرجع إلى الشعور بالشوق لعودة المفتاح ، وأن استخدام مفتاحين للحن الواحد يضاعف هذا الشوق [2] .

واستخدم أيضاً أبو سرور عنصراً آخر من عناصر الموسيقى التي تؤدي إلى التناغم الموسيقي وهو التصريع ، حيث قافية الشطر الأول هي نفس قافية الشطر الثاني ، وهذا يعطي نغمة موسيقية جميلة ، ومن ذلك قوله [1] :

---

(١) الديوان ، ص : ٩ .
(٢) موسيقى الشعر لشكري عياد ، ط ٢ ، دار المعرفة ، سنة ١٩٧٨ ، ص ١٢٨ .
(١) الديوان ، ص ٣٩ .

حي البيان وحي الشعر والأدبـــا

وحي أقطابه الأعلام والقضبـــا

وعلى هذا فإن القافية تشكل عنصراً هاماً من عناصر الإيقاع الشعري لما تضيفه على التعبير الشعري من قيمة موسيقية خاصة نتيجة لتكرار عدة أصوات في أواخر الأشطر أو الأبيات في القصيدة ، وهنا يقول إبراهيم أنيس : إن تكرارها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن ، وإن التزم حركة بعينها قبل الروي مما يكسب القافية نغماً وموسيقى [٢] .

فعلى قدر الأصوات المكررة في أواخر الأبيات يكون كمال الموسيقى وجمال الإيقاع .

ومن الوسائل الأخرى التي تحدث إيقاعاً موسيقياً رائعاً الجناس الناقص ، وأبو سرور استخدم هذا الجناس لإكمال معالم الصورة ، ولإثارة الإحساس وليعكس مدى قوة اللغة وجمالها ، فيقول [٣] :

أرسل على هدف ولا تخط الصـــوا

خطا الرُماة يحط قدر المدفـــع

فالجناس بين تخط ، يحط ، جناس ناقص ساهم في نقل الإحساس من الشاعر إلى المتلقي من خلال الإيقاع الموسيقي .

وقوله [١] :

هيه يا مصر أنت روح المعـــالي

والمعاني وقادة الشجعـــان

فالجناس بين المعاني والمعالي ، وهذا الجناس خلق نغماً موسيقياً يعكس جمال وروعة اللغة .

---

(٢) إبراهيم أنيس ــ موسيقى الشعر ص ٢٤٦ .

(٣) الديوان ، ص ٨ .

(١) الديوان : ٥٢ .

الموسيقا الداخلية :

الموسيقا الداخلية هي التي تقوم على جرس الألفاظ وإيحاءاتها الخاصة ونظمها في صورة صوتية تتناسب مع المعنى والوجدان ، وهي من الظواهر الفنية الواضحة في الشعر وهي التي تناسب في ثنايا القصيدة وينبض بها كل لفظ من ألفاظها ، ومرد هذه الموسيقا إلى " تلك الروح السارية في أجزاء القصيدة " كلها ، وانطلاقها معها في جو معبر تعبيراً صادقاً تحس أثره وتلمسه لمساً قوياً متجاوباً مع المعنى الذي يريده الشاعر ، وهذه الحالة النفسية السارية في ثنايا القصيدة كلها هي التي يسميها النقاد بالموسيقا الخفية وهذه هي التي تدفع الشاعر على أن يختار من الألفاظ ما يوحي إيحاءً صادقاً بما يريد التعبير عنه في صدق وقوة حتى لتحس وأنت تستمع إلى القصيدة أو تقرؤها أنك أمام بناء فني متكامل قد وضع فيه الشاعر كل شيء في موضعه في دقة وإحكام على يد فنان ماهر يدرك أسرار الجمال ويعرف مواطنه ، فتشعر كأنك أمام لحن موسيقي متناسق النغم ينساب إلى النفس فيأخذ بمجامعها ، وهذا التناسق الفني المتنوع بحسب المعنى الذي يريد الشاعر أن يعبر فيه"[1] .

والموسيقى عند أبي سرور ليست وقفاً على الوزن والقافية ، ولم تكن يوماً مسألة عروضية فقط ، ولكننا نقصد بها جميع الخصائص النغمية المتمثلة في الحروف والمقاطع وتتابع الكلمات واختيار التراكيب والتنوع في سياق النغم .

والمرء يتوقع في موسيقا ألفاظ الشعر الغزلي شيئاً غير الذي يتوقعه في رثاء الموتى أو في شكوى الزمان أو الحماسة لكن الشاعر مقيد بألفاظ اللغة ، وليس في مقدوره اختراع ألفاظ تنسجم كل الانسجام ، مع معانيه ولكنه يتخير ـــ عادة ـــ من قاموس اللغة أصلح الألفاظ لمعانيه ، فيوفق في اختياره أحياناً ، ويفتقد ما يطلبه أحياناً أخرى ، ويحاول الشاعر أن تكون موسيقا ألفاظه حين يطرق المعنى العنيف غيرها في المعاني الهادئة الرقيقة [2] .

---

(١) محرم شاعر العروبة والإسلام ـــ محمد إبراهيم الجيوشي ط ١ دار العروبة ، ص

(٢) زكي مبارك ـــ شاعراً ، العربي حسن درويش . الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٦ ، ص ٢٥٣ .

فانسجام الموسيقا عند شاعرنا ينشأ من ملائمة الموسيقى للتجربة الشعرية عنده ، ومن ثم من الإحساس والقدرة على خلق الإيقاع عن طريق الألفاظ والحروف والمقاطع والتناغم الموسيقي.

ومن هنا نجد في شعره ألفاظاً وصوراً صوتية كثيرة تدل دلالة مباشرة على طبيعة رؤيته الموسيقية ، ومدى ملائمة موسيقاه لوجدانه .

إن الشاعر العماني أبا سرور عاش الواقع العربي ، والنكبة الفلسطينية بأحاسيسه ، وما أحدثه الواقع من توتر نفسي يدعو إلى الثورة ، وبذلك أعطى للموسيقى الداخلية أهمية كبرى ، ووصل بالقصيدة إلى الانسجام بوصفها وحدة فنية متكاملة ، انظر إليه في قصيدته " إخواني المسلمين " حيث تتمتع القصيدة بالموسيقا الداخلية التي توحي للسامع بتأثير واضح للمأساة القومية الفلسطينية وذلك في قوله [1] :

يا شباب الإســـــلام في كل أرض
يا بني العرب قادة الشجعـــــــــان

غصبت أرضكم ودنست عرينـــــا
واستباح الحريم ذو الطغيـــــــان

ذي فلسطين من ينام سعـــــيداً
وهي تكوي مأسورة في هـــــوان

ذبح الرضع اليتامى لديهـــــــا
بقر البطن من حسان الحســـــان

كم كريم لله صلى لفـــــــــرض
هشمت أنفه نعال الجبـــــــان

يا للهفي على فلسطين بيعـــت
بالنفاق المذموم والعصـــــيان

---

(١) الديوان ، ص : ٥٣ .

هنا نلمح الموسيقا المتنوعة نلمح في البداية النبرة الزاعقة والموسيقى الصاخبة عندما ينادي على شباب المسلمين لإنقاذ فلسطين والأقصى ، وهذا الجو الكئيب يلائم التجربة الشعرية .

ثم نلمح الموسيقى الهادئة والنبرة الهادئة عندما يعرض صورة مأساوية للرضيع الذي يذبح .

والتعبيرات الموحية بالنبرة العالية يا شباب الإسلام ، وهي تكوي مأسورة ، غصبت أرضكم وديست " .

ومنها أيضاً : يا شباب ، ديست ، تكوي ، ومن التعبيرات الدالة على الموسيقى الهادئة : ذبح ، يا لهفي على فلسطين ، بقر البطن حسان ، (هشمت أنفه) .

فنجده استخدم الألفاظ الدالة على ذلك " ذبح ، يا للهفي ، هشمت ، بقر .

وكل هذه الألفاظ السابقة تعطي نغمة من الموسيقا ودلالات تشع جواً من التوتر والحزن والألم ، حيث يشارك المتلقي الشاعر في الإحساس والشعور وكلها أصوات تعبر عن الموسيقى التصويرية التي تناسب التجربة .

ومن النماذج ذات النبرة العالية التي تدل على الانسجام الموسيقي قول الشاعر في وصف معركة أكتوبر قائلاً [1] :

وتراسلت نحو السما أبطالنـــــا
بالطائرات لها القضا أمطـــــار

والبحر يمخر بالقتال عبابـــــــة
ودم الوغى طوفانه والنـــــــار

وصوارخ ما زال تعترك الـــــردى
مع طائرات يهود مهما طـــاروا

فإذا بدا سرب تلقى نسفـــــــــه

---

(١) الديوان ، ص : ٣٤ .

سرب صوارخ كلها دمـــــــار

فمن الثراء إلى السماء تصاعـــدت

نار تلظى صوتها هـــــــــدار

بحر من النيران هاج سفينـــــــة

دبابة طيارة طيـــــــــــار

ومدافع وقنابل تهمي الفنـــــــا

وفيالق ضاقت بها الأقطـــــار

والحقيقة أنها نبرة عالية تحمل في طياتها دوي المدافع ، وأزيز الطائرات ، كما تحمل في الوقت نفسه التصميم والإصرار على التقدم والتحرر من الاستعمار ، وتحرير الأراضي العربية .

ولكن النبرة تعلو رويداً رويداً كلما حمى وطيس المعركة ، وبالتالي حمى وطيس النبرة حيث يصف ما حدث في المعركة من مذابح ، وقتلى ، ففي الأبيات يشع جو الكآبة والحزن ويلفها الألم .

ومن التعبيرات التي توحي بذلك: البحر عجز بالقتال، وصوارخ مازال تعترك ، ومدافع وقنابل تهمي ، وفيالق ضاقت بها الأقطار .

والألفاظ الدالة مع ذلك : عجز ، وصوارخ ، تعترك ، ومدافع ، وقنابل ، وفيالق .

وكلها ألفاظ تشع جواً من الخوف والفزع والحزن والألم .

وهذه الألفاظ تشكل موسيقا القصيدة ذات دلالات مرعبة مخيفة توقظ الروح القومية من العدم ، حيث صوت الآهات الممزقة ، والمدافع والقنابل المدوية ، وأزيز الطائرات وصفيرها ، كلها أصوات تشع جواً من الخوف والألم والكآبة .

وهناك أداء ذو نغمة موسيقية هادئة بطيئة موحية بالحزن ، وملائمة للتجربة الشعرية الحزينة التي تعكس الهزة النفسية الحزينة لما يرتكبه الصهاينة من جرائم بشعة في حق الشعب الفلسطيني ، فيقول [1] :

إن المناسي فيك لم تبرح بنـــــا

صبر جميل فالإله رقيـــــب

قد ذبحت أبناؤها واستحيـــــت

منها النساء وشرد المرهـــوب

كم مرضع يبكي أباه وأمـــــه

قتلاً فيبقر بطنه المجـــــدوب

فتظل تأكله الكلاب على الحصـــى

وكأنه سخل رماه الذيـــــب

والمسجد الأقصى ينادي أهـــله

يا مسلمون أيترك المغصـــوب

قد داس محرابي وداس منصـــتي

بعد الخليل المشرك المغضـــوب

ففي الأبيات تظهر الشكوى المفعمة بالحزن والأسى ، وموقف الشاعر الحزين القلق الحائر الذي أصيب بالوحدة ، والنغم الحزين هذا نابع من اختيار الكلمات ذات الموسيقا الهادئة ، التي تترجم عن انفعالات الشاعر ، وآلامه بصوت خافت ، حزناً على المسجد الأقصى وحزناً على الشعب الذي ذاق من الصهاينة مرارة الألم والحزن والموت ، انظر إلى قوله : قد ذبحت أبناؤها ، كم مرضع يبكي أباه وأمه ، وكأنه سخل رماه الذيب .

(١) الديوان ، ص : ٢٢ .

فهذه التعبيرات تقطر حزناً وألماً وخاصة عندما وصف الرضيع الذي تأكله الكلاب بعد أن عفاه الديب وأخذ منه مأربه إنها صورة محزنة مفجعة مفزعة ألقت بظلالها على الموسيقا المشكلة لها .

من مثل " ذبحت ، استحيت ، مرضع ، يبكي ، سخل ، داس " وهذه الألفاظ ذات دلالات تعبيرية وتصويرية مبدعة حيث أصواتها المجسدة للألم والحزن وكلها ذات صلة بموسيقى القصيدة التي تحرك الأحاسيس والمشاعر ، وتبث الألم والحيرة .

ووصلت الصورة ذروتها عندما وصف الرضيع الذي يبكي وهو يُرمى على الحصى في الصحراء بعد أن نهشه الذئب ثم وتركه لتأكله الكلاب لتقضي على البقية الباقية منه ، ما أبشعها من صورة ، إنها صورة استفزازية ، ورغم ذلك . فالروح القومية عند العرب ميتة لا تستجيب ولا حراك فيها ، ومع ذلك يخاطب تلك الروح ، لاستنهاض الهمم ، ولكن لا حياة لمن تنادي .

وقد علت نبرات الموسيقى إلى حد كبير وخاصة في ندائه للعرب والمسلمين لإنقاذ الأقصى ولبنان وفلسطين ومن ذلك قوله [1] :

وتلك لبنان والأغلال موثقـــــة

فيها ولم تر شهماً للإبا وثبـــــا

تكوي على وجهها في كل ثانية

أحشاؤها مزقت تحت الهوان هبـــا

لبنان لبنان لا تنفك باكيـــــة

عيني عليك وكبدي قطعت إربـــــا

فمن راك قبيل اليوم زاهيـــة

وخالك اليوم عما مات أو كربـــــا

وقوله [1] :

---

(١) الديوان ، ص : ٤١ .

يا شهم أنت صلاح الدين هب تجد

تلك الفتوحات تبغي منك حد شبا

تمزقت بين ذي شرك وذي وثن

بكاؤها يا صلاح الدين هب إبا

فلم تجد غير نمل الأرض من خلف

ما يفعل النمل إن بالنعل قد سحبا

ففي هذه الأبيات نجد النبرة العالية وهو يستصرخ الهمم النائمة علها تفيق والروح القومية الميتة علها يبعث فيها الحراك لإنقاذ البلاد من الاستعمار الصهيوني ، ويستصرخ القادة العرب علهم يستيقظون من سباتهم العميق ، وهذه النبرة العالية ملائمة للحالة النفسية والتجربة الشعرية للشاعر .

كما أنه استخدم حرف العين كثيراً واعتمده في بعض قصائده ، تكرار العين ساعد على الجلبة والنبرة العالية خاصة في قصيدته " بين القنابل والقنا " لأن حرف العين من حروف الحلق ويكون النغم معه على اتساعه مفتوحاً ويجعل الصوت زاعقاً ، وأرى أن هذا الحرف مناسب تماماً لعنوان القصيدة حيث لصوت القنابل والقنا . والكلمات الدالة . . أجشع، أروع ، أسمع ، متسع ، مصرع ، تدفع ، كلها ألفاظ متناغمة متناسقة ، وهذا التكرار يزيد الموسيقا حسناً وجمالاً .

وهكذا نظم أبو سرور الشعر في أشكاله وقوافيه المختلفة ، وسار في القصائد على الطريقة التقليدية من وحدة الوزن والقافية .

وبالتالي تراءت لنا شاعريته في كل قصيدة من قصائده ، وفي خياله المحلق والتصوير الرائع ، واللغة الشاعرية . وتمكنه من اللغة، ووقوفه على أسرارها، وحسن استخدامه للمفردات الموحية الملائمة ، وصدقه الشعوري في التعبير عما يضطرب في جوانحه .

---

(١) الديوان ، ص : ٤٤ .

ولقد عرف أبو سرور كيف يضرب على الوتر الحساس ، فأصغى له الشباب والشيوخ ، واستمع العرب لانغامه القوية الجارفة ، فقد وجدوا فيها صدى لآلامهم ، وتعاستهم ، وشعروا أن أبا سرور يعبر عن وجدانهم بعبارات صادقة تنفذ إلى شغاف القلوب ، وعلى هذا فإن شعر أبي سرور ذو ألفاظ ملائمة ، ومعان محكمة ، حقاً ، ساعد على إحياء الهمم ، وإشعال النفوس ، وإيقاظ العزائم ، وهو شعر هادف صادق لأن العاطفة المتملكة عاطفة عامة يشترك فيها العرب جميعاً ، ولأن كل عربي منصف وأديب مخلص يتابع الأحداث المحيطة لا يسعه إلا أن يتجاوب معها ويهتم بها .

المراجع

١ ــ الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د / عبد القادر القط ط / ٢ دار النهضة بيروت سنة ١٩٨١ م .

٢ ــ استدعاء الشخصيات الذاتية في الشعر العربي المعاصر ، د / علي عشري زايد ، القاهرة ، دار الفكر العربي سنة ١٩٩٧ م .

٣ ــ أضواء على الأدب الحديث ، د / أحمد محمد الحوفي ، دار المعارف سنة ١٩٨١ م .

٤ ــ البلبل الصداح والمنهل الطفاح في مختارات الأشعار الملاح لمحمد بن راشد بن عزيز الخصيبي العماني ، تحقيق د / علي محمد علي إسماعيل ، د / إبراهيم صلاح الهدهد ، ط ١ ، سنة ٢٠٠٢ م .

٥ ــ تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، د / علي عباس علوان ، بغداد ، سنة ١٩٧٥م.

٦ ــ تكرار التشبيه مجلة العربي فبراير سنة ٢٠٠١ ، د / جابر عصفور .

٧ ــ التيار القومي في الشعر العراقي ، ماجد حمد السامرائي ، دار الشعر الثقافية ، ط ١ ، سنة ١٩٨٣ م .

٨ ــ جوامع علم الموسيقا لابن سينا ، تحقيق زكريا يوسف .

٩ ــ حرب أكتوبر في الأدب العربي الحديث لأحمد محمد عطية ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة إقراء أكتوبر .

١٠ ــ خمسة من شعراء الوطنية ، الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٣ م .

١١ ــ دراسات في المعاني والبديع ، د/ عبد الفتاح عثمان، القاهرة ، مكتبة الشباب ، سنة ١٩٨٣ م .

١٢ ــ الدعوة إلى القومية في المجتمع العربي ، يونس أحمد البطريق سنة ١٩٦٨ م .

١٣ ــ ديوان أبي سرور ، ط / مكتبة الفردوس ، سنة ١٩٩٨ م .

١٤ ــ ديوان محمد الأبنودي ، د / أحمد عبد المجيد خليفة ، ط ١ ، سنة ٢٠٠١ م .

١٥ ــ زكي مبارك شاعراً ، د / العربي حسن درويش ، الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٦ م .

١٦ ــ سمائل فيحاء عمان ، خليفة بن محمد الحضري ، سنة ١٤١٩ هـ .

١٧ ــ الشعر الفلسطيني الحديث ، خالد علي مصطفى ، سنة ١٩٤٨ ــ ١٩٧٠ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد .

١٨ ــ الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، د / شوقي ضيف ، ط / ٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، سنة ١٩٨٤ م .

١٩ ــ الظاهرة الأدبية في شعر الخوارج ، د / عبد اللاه محمود حسن محروس ، ط / الأمانة ، سنة ١٩٨٨ م .

٢٠ ــ في الأدب واللغة ، د/ أحمد هيكل ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، القراءة للجميع سنة ١٩٩٨ م .

٢١ ــ قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، د / محمد عبد المطلب ، بدون .

٢٢ ــ لسانيات الاختلاف ، لمحمد فكري الجزار ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة كتابات نقدية ، سنة ١٩٩٥ م .

٢٣ ــ محرم شاعر العروبة والإسلام ــ محمد إبراهيم الجيوشي ، ط/ دار العروبة ، سنة ١٩٦١ م .

٢٤ ــ المثل السائر لابن الأثير ، ط / نهضة مصر ، سنة ١٩٥٩ م .

٢٥ ــ مع القومية العربية ــ حامد الجبوري والحكم دروزة بدون .

٢٦ ــ مفهوم الشعر ، د / جابر عصفور ، القاهرة سنة ١٩٧٨ م .

٢٧ ــ المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ــ بيروت .

٢٨ ــ موسيقى الشعر ، د / إبراهيم أنيس ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٩٧ م .

٢٩ ــ موسيقى الشعر لشكري عياد ، ط ٢ ، دار المعرفة ، سنة ١٩٧٨ م .

٣٠ ــ نظرية الأدب ، داستن داربن ، تحقيق محي الدين صبحي ، سنة ١٩٨٢ م .

٣١ ــ النقد الأدبي الحديث ، د / عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي .